مكانة المرأة المسلمة

في ولاية جامو وكشمير في ضوء القرآن والسنة

دراسة تحليلية

بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراة

الباحث

محمد أعظم

تحت إشراف

البروفيسور سيد إحسان الرحمن

مركز الدراسات العربية و الإفريقية

مدرسة دراسات اللغة و الأدب و الثقافة

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهي ـــ ١١٠٠٦٧

٢٠٠٨

जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय
JAWAHARLAL NEHRU UNIVERSITY
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature, & Culture Studies
NEW DELHI-110067, INDIA

Dated: 23 /07/2008

DECLARATION

I declare that the work done in this dissertation entitled "*MAKANATUL MAR'A AL MUSLIMA FI WILAYATE JAMU W KASHMIR, FI ZAU'IL QUR'AN WAS SUNNA, DERASAH TAHLILIA*" (*STATUS OF MUSLIM WOMAN IN JAMMU AND KASHMIR, IN THE LIGHT OF THE QUR'AN AND HADITH, AN ANALYTICAL STUDY)* by me is an original work and has not been previously submitted for any other degree in this or any other university / institution.

MOHD. AZAM
(Research scholar)

Prof. S.A. RAHMAN
(Supervisor)
CAAS/SLL & CS
J.N.U. NEW DELHI-

Prof. S.A. RAHMAN
(Chairperson)
CAAS/SLL & CS
J.N.U. NEW DELHI-

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

ومن المؤسف جداً أن المرأة المسلمة في العالم تمر بإمتحان قاس مع أنها من عداد النفوس التي أنزل علي نبيها الشريعة البيضاء وهو خاتم النبيين . وهذه الشريعة المنورة أرشدت متبعيها إلى حقيقة الحال وإلى كل شيئ يحتاج إليه الإنسان في الحياة الدنيوية والأخروية.

فأعطى الإسلام المرأة فوق ما تطمح إليه ، وترجوه لحماية ضعفها ولطفها إذ منحها حظ الرعاية وفرض لها حقوقاً أوجبها لها تتجلى فيها معاني الإعزاز والتكريم في كل مسألة من أحكام هذا النظام ولاشك في أن كلامنا يشاهد في ضوء أوامر الشريعة الإلهية كل مثقف حرا وكل مثقفة حرة إن يخلعوا ربقة التقليد للأجنبي ويتخلصوا منه. ولكل دعوتين – الخيّرة والشريرة – أنصار ومدافعون بل متها لكون فألأشرار يريدونها مبتذلة متحررة ليستمتعوا بها والأخيار يريدونها مصونة عفيفة طاهرة أماً وأختاً وزوجة وبنتاً معززة مكرمة كما يريدها الإسلام وأشار إلى خيرها الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقال : الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة."

قد قسمت هذه الأطروحة إلى خمسة أبواب :

الباب الأول : كيف كانت المرأة في الحضارات القديمة والأديان المختلفة ؛ هذا الباب يتركز على حالة المرأة في الحضارات القديمة ومكانتها فيها ، وكيف كان الناس يعاملونها ؟ وكيف كانت المرأة تعيش في المجتمع ؟ أ لها حقوق في المجتمع أم أنها محرومة منها ؟ ثم ذكرت مكانة المرأة في الأديان السماوية المختلفة وتركت الإسلام منها لأنني أقمت له باباً منفصلاً ، وألقيت نظرة عابرة على حالة المرأة القاسية في الحياة الجاهلية.

الباب الثاني : المرأة في ضوء القرآن والسنة ؛ يحتوي هذا الباب على محاولات الإسلام الأولي تجاه المجتمع بعد محو الرواسب الجاهلية وعلى ماذا أعطى الإسلام للمرأة ؟ وماهي وظيفتها الأساسية؟ وما المراد بالقوامة ؟ وكذلك ذكرت حدود المرأة للعمل وأخيراً ذكرت أن الحجاب حصن حصين بين الطهر والرجس.

الباب الثالث : دراسة مقارنة بين المرأة الغربية والهندية؛ يعالج هذا الباب العوامل التي تؤثر مكانة المرأة في المجتمع ويظهر تساوي الرجل والمرأة في الحقوق الإنسانية العامة وكذلك يعرض هذا الباب نصفة الإسلام للمرأة وانتصاف المرأة الأوربية لنفسها وفي الأخير عرضت حالة المرأة في حضارات البلاد المختلفة الغربية وأبرزت الحقيقة أمام المرأة المتعصرة المخدوعة بمعسول الكلام وتجميل الألوان البراقة .

الباب الرابع : حقيقة قضية ولاية جامو وكشمير وتأثرالمرأة بتقلبات السياسة المدمرة فيها؛ ذكرت أولاً موقع الولاية الاستراتيجي والأهمية الاستراتيجية ودخول الإسلام في الولاية ثم عالجت حقيقة قضية الولاية المتعقدة والسياسة الخسيسة التي استخدمت في تلبيس هذه القضية وتدليسها وأهمية هذه الولاية بالنسبة لكلا البلدين، وسياسة الانجليز المضللة وكذلك ذكرت الأحزا ب السياسية في الولاية . وأخير ذكرت أثر الصراع السائد المبيد على سكان هذه الولاية .

الباب الخامس : مكانة المرأة المسلمة في ولاية جامو وكشمير و من معاناتها النفسية والجسدية ؛ يتناول هذا الباب الآلام التي تعانيها النفوس في هذه الولاية المضطربة وكذلك يشير إلى تطلعات أهالي ولاية جامو وكشمير للمستقبل ويفصل الكلام عن الجولة التي قمت بها لملإ الاستبيان في الولاية وذكرت كلما شاهدتها وسمعتها ورأيتها بعيني هاتين أثناء مقابلات شخصية ومناقشات مع رجال العلم والنساء من الولاية ، وأخيراً فسرت الكلام في الحقوق الشرعية إلى ما بين الإهمال والإعمال في المجتمع المسلم في الولاية .

هذا جهد متواضع من عندي وضحت خلاله النوايا الغامضة تجاه الإقليم الجميل من حيث الطبيعة والعليل السقيم من حيث التقلبات السياسية والأمنيات المنحرفة بين طيات صدور الزعماء السياسيين.

وبمناسبة هذا المكان يجب أن أبدي مشاعر الشكر والامتنان تجاه الأصدقاء الذين ساعدوني في إعداد هذه الأطروحة بكل ماتيسر لهم وأخص بالذكر منهم زميلي وأخي الكبير محمد محامد حسين مع أنه كان مشغول البال في إعداد أطروحته ، والصديق العزيز محمد قمر الذي قطع برهة قيمة من وقته الغالي لمساعدتي في سبيل إكمال هذه الأطروحة وكذلك أشكر الإخوان الآخرين الذين كانوا في حسن ظنٍّ بي خلال فترة إكمال هذا البحث . وكذلك لا أ نسى معاونة الأخ العزيز عطاء الله السنابلي الذي ساعدني في طباعة الأطروحة بكل سرعة وإهتمام. وأخيراً ليس بآخراً أخص بالشكر الجزيل والامتنان الوفير أستاذي البروفيسور سيد إحسان الرحمن الذي أشرف عليّ من وقت اختيار الموضوع إلى تقديمه قي شكل ما بين الدفتين وقطعت هذا السفر الوعر الملتوي تحت ظل رئاسة هذا الأستاذ المشفق لأنه قام بإرشادي وتوجيهي بجدية وإهتمام بالغ في كل مرحلة من مراحل إعدادها ولم يدخر أي وسع في تقديم مساعات غالية وآراء سديدة للوصول إلى النتائج الإيجابية وشجعني بين حين وآخر على تذليل العقبات والعراقيل، فأدعو الله أن يمتعه بدوام الصحة والعافية ويتيح لنا فرصة طويلة للاستفادة من علمه وفضله ونصحه وخبرته الواسعة .

وهذا جهد مبذول متواضع قمت به لإعداد هذه الأطروحة لنيل شهادة ماقبل الدكتوراة وأدعوالله أن يكلله بقبول الحسن وهو العلام القدير .

محمد أعظم

رقم الغرفة : ١٣٤
سكن : ماندوي
جامعة جواهر لال نهرو – دلهي الجديدة
التاريخ : ٢٠٠٨/٧/١٨م

الباب الأول

كيف كانت المرأة

في الحضارات القديمة والأديان المختلفة

تمهيـــد

مما لاشك فيه أن موضوع المرأة من مواضيع الساعة الحساسة لأنه إذا صلحت المرأة صلحت الأسرة وإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع أولاً وقبل أن أخوض في تفصيل هذا الموضوع الحساس أريد أن ألقي ضوءا كاشفاً ومستقيماً على مقومات هذا الموضوع .

لاشك في أن الإنسان قد مر في مختلف عصـــوره وحضاراته وثقافاته بتجارب قاسية متواصلة شديدة المرارة وكان فيه عناصر من البداوة والجهل ، والقلق والاضطراب، والخوف والهمجية ، والعنانية والرغبة في العدوان والعلو. كلما كان ينتهي هـــــذا الانسان من مصارعة الوحوش ومنازلة السباع يفرغ لمنازلة أخيه الإنسان ويفتح لذلك صفحات آسية دامية من الحروب والغارات والسلب والنهب والغصب والاسترقاق وسبي الذراري ليكون في خدمة بيته وأرضه وسائمته وسائر أعماله ، ولكن هل يسمح لنا أن نلوم هذا الإنسان على أنه أتى بهذه الأعمال وارتكبها في المجتمع ، فقط مطلا على نوافذ مختلف حضاراته وثقافاته وعصوره؟ لا، لأنه كان تحت ضغط الأوضاع و الظروف والبيئة والصفات الجغرافية المميزة وهي التي تصوغ وتشكل شخصية هذا الإنسان وخلقه وطبائعه وأسلوب تفكيره وسلوكه وتبرزالفروق والتمايز بين الكبير والصغير والقوي والضعيف والأب والأم والأخ والأخت والمرأة والرجل ورؤساء الناس وعامتهم، ولم يمكن التخلص والتملص من هذا الضغط الغاشم بدون إتعاب نفسه وتكبد مشاكله في سبيل تلمس الصراط المستقيم في ضوء الأوامـــر الربانية والإرشادات الإلهية. ومن خشونة طبيعتهم أنهم لايعبأون بهـــذه الأوامر والإرشادات الإلهية بل أنهم يخالفونها خلافاً باتاً لأن التمرد والعصيان قد سرى ودبّ في أجسادهم ومفاصل أعضائهم . ولذا ضل وضاع هذا الإنسان بين أفكار وتطلعات حملتهـــــا إليه رياح الغرب والشرق ونسمائهما ، ونسي الإنسان خالقه الذي يملك العلم المحيط لصالح الناس أفراداً وجماعات ويعلم امتدادها وآثارها في غيب المستقبل حتى يشرع لهم إن ساغ له أن يشرع ، وماخلق الله جماعة وقوماً وإنساناً

وإلا وقد أرشده وأراه صراط المستقيم لأن الرسول – صلي الله عليه وسلم – قال : لكل قوم هـــادٍ . يعني أن الله قد أرسل رسلـــه الخلص إلى جميع الناس في كل عصـــر ومصر. وجاء في القـــرآن العظيم : "إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى " . ومعنى "في الصحف الأولى " قد أنزل الله الصحف أي الشرائـع المختلفة في كل زمـان وعصر ومصر وهـذه الشرائع تشمل جميع أغراض الحياة الدنيوية في ذاك العصر ولكن الناس يؤثرون الحياة الدنيا على الحياة الآخرة ولم يفهموا أن الآخرة خير وأبقى بل بدأوا يشنون الحروب ويقاتلون فيما بينهم على المال والمتاع والأرواح والنفوس بدلاً من أن يأتوا بالتآلف والتعـــــاطف والتآخي والتراحم . لذا اختلفت المواقف والأفكار والتطلعات والأماني الكاذبة الخادعة.

ومما لاشك فيه أن الازدواجية في المواقف تنبع من ازدواجية الثقافة ومن ازدواجية الأحوال الاجتمـاعية التي نشاهدها ونعيش في أثرهـــــا في مظهرها الغربي واستخدام الوسائل الغربية في تسيير أمورنا الحياتية وفي أفكارنا وتراثنا ومعتقداتنا الشرقية ، ومن خلال هـــــذه التناقضات المتبدية بقوة في مجتمعنا والمتجلية في نموذج التراثي والغربي والتوفيقي ، تبرز لنا قضيـــــة المرأة والمواقف المتباينة تجاهها. فالمرأة محترمة ومحتقرة في آن معاً ، الأم وهي إمرأة محترمة إلى درجة التقديس والأخت هي من حيث الشكل عنوان الشرف والإعتزاز وعلى المستوي الاجتماعي هناك تذبذب في المواقف منها. وذلك تبعاً لعقلية الرجال في الأسرة ، والمرأة محبوبة حينا و مقهورة في معظم الأحيان لكن احترام الأم والرأفة بالأخت ومحبة الزوجة لاتمنع الرجـــال من استباحتهن في شتائم تتمحور على أمكنة الشرف التي تراق الدماء على شرفها.

و من الحقيقـــة أيضاً أن الرجـــال عموماً يدللون المرأة ويطلقون عليها صفـــة النصف الحلو ويعظمون من شأنها ودورها ويقولون إنها نصف المجتمع ولاينهض المجتمع إلا بنصفيه لكنهم في الوقت ذاته يعاملونها على أنها الأدنى ويحاولون أن يبعدوها عن ساحة عملهم ، والمشكلة الحقيقية تنحصر في المرأة العاملة

التي تتحدى سطوة التقاليد وتواجه نفوذ الرجل في الأسرة والمجتمع و تضْمَنُ لنفسها كياناً اقتصادياً مستقلاً ، و هذا لايعني أن الرجل وحده هو المسئول عن وضع المرأة في المجتمع بل إن المرأة شريكة في صنعه.

ولاشك في أن العادات والتقاليد التي اخترعها أفراد المجتمع وكرسوها تشريعاً اجتماعياً صارماً ، تتحمل قسطاً كبيراً من المسئولية في التمييز بين الجنسين في نمط العيش داخل المنزل وخارجه . ولاننسى أن جزءاً من المسئولية يلحق بالمنادين بتحرر المرأة لأنهم نادوا بالمساواة بين الجنسين وليس بالتكامل بينهما ، وبذلك أدخلوها في معركة مع الرجل ونسوا أنه من الصعب تحقيق المســـــاواة ، مع أن الرجال فيما بينهم ليسوا متساوين ، وكان من الأفضل أن ينادوا بتنمية الاختلاف والتمايز في المجتمع لأن مايميز الواحد من الآخر هو في الوقت ذاته يوحدهما. وإذا كنا نعيش في عالم طغى عليه التفرد في الرؤية والقرار وشاعت فيه الأحقاد ، فعلينا أن نفيد من الآفاق التي يبسطها أمامنا الدين الإسلامي لنتمكن من فتح حوار حر نصل به إلى عقل الإنسان وفكره وروحه ولاسيما أن الدين الإسلامي من خلال القرآن أحل العقل منزلة عالية وجعله نوراً يهتدي بـــــه الناس ، ومن تأصيل فكر ثقافي يعايش العصر ويتفاعل معه.

الفصل الأول

المـرأة وتقـالـيد البـداءة

إذا عدنا إلى تاريخ الحضارات القديمـــــة نجد مكانة المرأة تتأرجح بين الارتفاع والانخفاض وتتمايل إلى اليمين والشمـــال وإلى الشمال واليمين لاتجد قرارا مطمئناً في أية حضارة وثقافة من تلك الثقافات والحضارات القديمة إن تجد قرارة النفس من ناحية في ثقافة تجد من ناحية أخرى ألوانا من العذاب والشقاء والحـــرمان . لأن الناس يعيشون حياة قاسية جداً في تلك الحضارات وهم مقهورون تحت ضغط تلك الأوضاع والظروف والمناخ والبيئة وهذا الضغط أدى الناس إلى أعمال شاقة قاسية وكذلك إلى بعض الأعمال غير الإنسانية مثلاً النهب والسلب والغصب واهراق الدم حتى لأتفه الأسباب ، ويتصيدون بالأحجار والعصاء ويقتلون الوحوش والسباع ويخوضون في المعارك الدامية التي لاتنتهي بسهولة بل تستمرإلى أمد بعيد. وفي هذه البيئة لم تكن المرأة قادرة على إتيان بمثل هذه الأعمال الشاقة في معظم الأحيان ويظن الناس أنهـــــا هي المصيبة نلجأ إلى رعايتها وحفظها وصونها في هذه المواقع الهائلة الشديدة ومن هنا دب ضعف المرأة في ذهن الرجل وبدأ يحتقرها ويشرفها حسب الحالات ويفضل الولد على البنت لأن مولد الابن هو الذي يركب الفرس ويحمل السلاح ويتنازل العدو ومولد البنت لاغناء لها في شئ من ذلك ، فضلاً عن عبء في المعركة وحرمة تستوجب الدفاع عنها، إن هذين العاملين الخطيرين حددا للمرأة مكانها في العصور القديمة لأنها أنثى أعدتها الطبيعة القاهرة لأداء مهمة معينة ومقتضيات الحياة التي دعت إليها مواريث البداوة والتوحش التي كانت لاتفتأ تثير في الرجل مختلف الأطماع وتحضه على دوام الغـــــارة وفخر الغلبة ونشوة الظفر والاستعلاء. لقد كان لهذين العاملين أثرهما الحاسم في رسم الوضع الاجتماعي للمرأة إبان العصور الأولى لحضـــارة الإنسان فلما قطع من مراحله الحضارية ما قطع وصار له في كثير من الجهات دول ذات قوانين ونظم في الحرب والسلم ، وكانت مقتضيات الحياة القديمة – حياة الغزو والسلب والنهب – قد استحالت تقاليد راسخة ومواضعات تخطط آداب الشعوب والقبائل وتعين معاقد مجدها وفخرها ومنعتها أي صارت عنصراً أصيلاً من

العنـــاصر التي تكون الإطار العـــــام لحضاراته ، وفي نطاق هذا الإطار عاشت المرأة واتخذت وضعها الاجتماعي.(١)

هذا الاستعراض يشير إلى العادات والتقاليد السلبية السائدة في الحضارات القديمة ، وليس من الانصـاف أن نذكر سلبيات مجتمع أو ثقافة أو حضارة ونترك إيجابياتها مع أن تلك الحضارة أو الثقافة لها تنظيم اجتماعي ونظام متبع يؤمن الآهل باستمراريته ، وهناك أدلة تاريخية وانتروبولوجية كافية تشير إلى التنوع الشديد بين الحضارات فيما يتعلق بالمهام الموكلة لجنس أو آخر، كبناء المسكن أو صناعة الثياب أو زراعة الأرض ففي مجتمع ماقبل التدوين كانت الأم هي العائلة وكان الأبناء يعيشون في كنف أمهاتهم وقد أخذ فعل الولادة بلب الرجل وشغافه ودعاه إلى تقديس المرأة وتأليهها كذلك فعل مجتمع الحضارات القديمة مثل بلاد مابين النهرين ومصر الفـرعونيـــة مع بعض النساء ورفعهن إلى مرتبة القداسة والملك فكانت الالهة عشتار والملكة سميرأميس والفرعون جتشبسوت ، لكن هـذا التقديس لايعني استقرار وضع المرأة ولاينفي وجود نساء مقهورات ومستغلات فالمجتمع الذي عبد عشتار هو نفسه الذي مارس على معظم النساء فيه نظما قاسية وأعرافاً صعبة . (٢)

وملخص القول : لاشك في أن لكل مجتمع مهما كان بدائياً تنظيماً اجتماعياً ونظامياً يؤمن استمراريته ولكن الأوضاع والظروف القاسية الشديدة تجبروتقسر على إتيان وإرتكاب الأعمال المكروهة البغيضة لأن من يعيش في مجتمع هويعلم نبض ذاك المجتمع ومن لم يقض ولو أياماً فيه لايمكن أن يرتم بكلمات مفتورة من لسانه.

الفصل الثاني

المرأة في مختلف الحضارات القديمة

١- المرأة في الصين

ففي الصين كانت المرأة تحتل مكانة هينة ولقد كتبت إحدى سيدات طبقة العليا بالصين رسالة قديمة تصف فيها مركزالمرأة فكان مما جاء فيها " نشغل نحن النساء آخر مكان في الجنس البشرى ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال". ومن أغانيهم : " ألا ما أتعس حظ المرأة ، ليس في العالم كله شي أقل قيمة منها إن الأولاد – يقصد الذكور - يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة سقطوا من السماء أما البنت فإن أحدا لايسر بمولدها وإذا كبرت إختبأت في حجرتها تخشى أن تنظر في وجه إنسان ولايبكيها أحد إذا اختفت من منزلها . " (٣)

وقد جاء في موسوعة المعارف البريطانية : كانت النساء غير المتزوجات ينتسبن إلى عائلات آبائهن وعندما تزوج إحداهن فإنها تنتقل إلى عائلة بعلها وتكون تحت امرة والديه وكبارالعائلة منهم. وعليه تنتقل كل الممتلكات التي أتت بها إلى عائلة بعلها وكانت منزلة العروس منزلة هينة جداً وكان في إمكانها الاعتماد على الحماية البدنية من قبل أقاربها من أبويها إذا كان هؤلاء الأقارب مستعدين للمغامرة في جلب عدم الموافقة وسخط أنسابهم أما في الحياة الواقعية فإننا نرى أن منزلة المرأة تتقوى وتتحسن مع الزمن وبعد انجاب الأولاد الذكور خاصة وبعد أن تقوم هي بأعمال النعي والحزن لوفاة الرجال الكبار من أقارب زوجها.

كان الزواج عن طريق التفاهم غيرالرسمي بين رؤساء العائلات المعنية بالأمر وذلك بعد المفاوضات التي تتم عادة عن طريق وسيط بين الجهات المعنية ويكون ذلك بطريق تقليدية متعارف عليها ، وكان يحق للزوج أن يطلق زوجته لأسباب معينة ومعقولة ومثال ذلك الخيانة الزوجية (الزنا) على شرط أن يكون الأبوان مستعدين لقبولها في بيتهما ثانية وإلا فسوف تذهب المرأة إلى الشارع وتكون إمرأة ساقطة.(٤)

2-المرأة في الهند

أن الهند لها حضارة قديمة ولهذه الحضارة أثر كبير في مجتمع ذلك الوقت ويعتمد على " مانو" و " منواسمرتي" في نظـــــام اجتماعي الذي يؤمن استمراريته في ذلك العصر، وأشار إلى حقيقة " مانو" الشيخ العبقري عباس محمود العقاد وقال : أن مانو هو " منو" ألذي يعتبر مصدر القانون الاجتماعي المدني العائلي في الهنادك وهو شخصية يكتنفها الشئ الكثير من الغموض والخيال والتقديس ولايمكن تحديد عصره ولاتعين شخصيته . وأما " منواسمرتي " الذي هو دستور الهند القديمـــة الاجتماعي والعـــائلي فـهو ينسب إلى " بهر كو مهاراج " أحد كبار علماء القانون في الهند القديمة (٥) ونجد في أساطير مانو أن مانوا عندما خلق النساء فرض عليهن صُب الفراش والمقاعد والزينة والشهوات الدنسة والغضب والتجرد من الشرف وسوء السلوك ، فالنساء دنسات كالباطل نفسه وهذه قاعدة ثابتة ". (٦)

وقد ذكر عباس محمود العقاد في كتابه المرأة في القرآن : أن شريعة " مانو" في الهند لم تكن تعرف للمرأة حقا، مستقلاً عن حق أبيها أو زوجها أو ولدها في حالة وفاة الأب والزوج فإذا انقطع هؤلاء جميعاً وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها في النسب ولم تستقل بأمر نفسها في حالة من الأحوال. وأشد من نكران حقها في معاملات المعيشة نكران حقها في الحياة المستقلة عن حياة الزوج فإنها مقضى عليها بأن تموت يوم موت زوجها وأن تحرق معه على موقد واحد وقد دامت هذه العادة العتيقة من أبعد الحضارة البرهمية إلى القرن السابع عشر، وبطلت بعد ذلك على كره من أصحاب الشعـــائر الدينية" . (٦)

ولايجوز للمرأة في شريعة مانو أن تفعل ما تشاء بل حسب هذه الشريعة أن الزوجة الوفية هي التي تخدم سيدها – زوجها – كما لوكان إلها ، وتخاطب بعلها في خشوع قائلة يا إلهي ، وأحيانا يا مولاي ، وتمشي خلفه بمسافة وكانت لاتأكل معه بل تأكل مما تبقى منه ومن أولاده هذا ما كان سائداً

في حضارة الهند القديمـــة تجاه المرأة المسكينة التي تئن أنيناً مشبوباً بألم الحاد المكتوم لم يكن في قدرتها الإبراز عن هذه المشاكل والعذاب الأليم الذي كانت تتكبده . (٧)

3-المرأة في اليونان

اليونان لها تاريخ طويل جداً ويقال إن تاريخ يونان تاريخ ذهبي أو العصر الذهبي ، ولكن مع هذه الارتفاعات المطبولة كانت قاصـــــرة على أن تعطي المرأة حقها الأصيل القاعد ليس لها دور هام في حضارة اليونان وكانت تعيش وتقضي أيام حياتها معزولة عن المجتمع وتعد أيام عمرها محبوسة في أعماق البيتِ، كأنها سقط متاع ، وكان من مفكري اليونان ومؤرخيها ينادون أن من أشد الحاجة حبس إسم المرأة في البيت كما يحبس جسمها ، أما ما يتعلق بمسئلة الزواج في هذه الحضارة كانت المرأة اليونانية تجبر على الزواج دون إذنها إذ أنهم يعتبرون أن رضـــــاهم لم يكن له أية أهمية في إتمام زواجها. وكان عليها أن تقبل هذا الزوج الذي يعتبر سيدها والذي اختاره لها والدها. حتى وإن كان هذا الزوج غريباً عنها كل الغرابة ولاتعرف عنه شيئاً . وأنها تعتبر ناقصة الأهلية وكان يجب عليها إطاعـــــة أوامر أقربائها من الذكور طاعة عمياء . لاشك في أنها مسلوبة الحرية والمكانة في كل ما يرجع إلى الحقوق الشرعية ، واشتهرت أندية الغواني في الحواضر اليونانية لإهمال الزوجات وأمهات البيوت وندرة السماح لهن بمصاحبة الرجال في الأندية والمحافل المهذبة وخلت مجالس الفلاسفة من جنس المرأة . وسقطت المرأة من أصل مكانها إلى أن قال ديموستين خطيبهم المشهور : " إننا نتخذ العاهرات للذة ، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية ونتخذ الزوجات ليلدن الأبناء الشرعيين ". (٨)

وعلى هذا كانت الزوجة تنتقل من بيت أهلها لا لتكون سيدة البيت في بيت زوجها بل لتؤدي فيه وظيفتها في استيلاد الأطفـــــال وحضانتهم . هذه الناحية السلبية لهذه الحضارة اليونانية ، ولايكون من العدل والوسطية إن نترك ناحية هذه الحضارة الإيجابية وعلينا أن نعيد العدل إلى نصابه ونرجع العدل إلى أصله ونقول قد تنوع وضع المرأة وتفاوت بتنوع الحضارة التي مرت على تلك الأرض فإلى جانب الالهة والملكة والسيدة الكريمة كانت هناك القَيْن والعاهرة، إذ لولا المرأة وقيمتها لما قامت حروب طراودة. ولولا المرأة لكان بطل هوميروس في الإلياذة بطلاً جلفاً ليس له هدف يعيش من أجله ، لذا لا يمكن لمثل هذه الحضارة أن تجهل أسمى ما في المرأة وأعمق ما فيها .

٤ ـ المرأة في الرومان

إن الرومـــــــان هم جيران اليونانيين القدماء ومذهب الرومانيين كمذهب الهندوس الأقدمين في الحكم على المرأة بالقصور حيث كانت لها علاقة بالآباء أو الأزواج أو الأبناء وشعارهم الذي تداولوه إبان حضـــارتهم أن قيد المرأة لاينزع ونيرها لايخلع. وكان رب الأسرة هو رئيس الحضارة اليونانية الديني وحاكمها السياسي ومديرها الاقتصادي فإليه ترجع الحقوق كلها فهوالذي يملك وهو الذي يبيع ويشتري ويتعاقد ويتصرف في كافة شئون أسرته، أما المرأة فلم يكن لها إلى جانبه شئ .

وهم يعتبرون المرأة ناقصة الأهلية وأنها كانت تعتبر أنها لاتستطيع أن تفكر لنفسها بنفسها ولذا كان لزاماً عليها أن يقوم أحد بالاعتناء بها ولازم عليها أن تكون دائماً تحت رياسة الرجل وحمـــــايته ورعايته ولذلك عندما تتزوج تنتقل هي و ممتلكاتها المالية إلى زوجها فتصير ملكا له وله كل الحقوق عليها وإن ارتكبت أي عمل مضاد للأنظمة السائدة والقوانين المرعية على الزوج أن

يحاكمها ويصدر الحكم عليها ويعاقبها فله الحق المطلق في إصدار أي حكم عليها حتى ولو أفضى ذلك إلى الحكم بقتلها ولا أحد يعارضه في حكمه ذلك .

أما ما يتعلق بالزواج فقد عرف الرومان نوعاً جديداً منه إسمه " الزواج بالسيادة " وبه تدخل المرأة في سيادة زوجها عليها أنها كانت تحاول إليه إذ مـــا اتهمت بجريمة ليحاكمها ويعاقبها بنفسه ، وكان له أن يحكم عليهـا بالإعدام في بعض التهم كالخيانة مثلاً . وعندما يتوفى عنها زوجها فإن أبناءها الذكور أو إخوة زوجها أو أعمامه لهم الحق عليها وعلى كل ما تملك وذلك لأن الملكية انتقلت إليهم بعد وفاة الزوج مباشرة فهي شئ موروث ضمن أمتعة الزوج الراحل لم يكن لها الحق في الاشتراك في الأمور المدنية ولا في الأمور العامة ويعني هذا أنهم لم يكونوا يسمحون لها أن تكون وصية لأحد أو شاهدة أو كفيلة لغيرها من النساء بل لم يسمحوا لها أن تكون مدرسة. ولكن بعض النساء منهن يتمتعن بالسيادة والمليكـة وأنهن يخضعن الرجال ويحكمنهم ولتدعيم هـــذا الرأي والحديث وإبراز هذه النقطة الإيجابية في هذه الحضارة الرومانية أقدم اقتباساً يقول فيه " كاتو الكبير" وهو من أعظم كتاب النثر اللاتيني كما ينبغى على الرومانيين تخاذلهم أمام النساء : إن الرجال في جميع أنحاء العالم يحكمون النساء أما نحن الرومان الذين نحكم جميع الرجال فإن نساءنا يحكمننا. (٩)

٥- المرأة في المصر القديمة

حضارة المصر القديمة هي من أقدم الحضارات وهي الأولى التي قامت برعاية حقوق المرأة وحفاظها وهي الوحيدة التي لعبت دوراً هاماً في هذا السبيل . قال الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه " المرأة في القرآن " : انفردت الحضارة المصرية القديمة بإكرام المرأة وتخويلهـــا حقوقاً (شرعية)

قريبة من حقوق الرجل فكان لها أن تملك وأن ترث وأن تتولى أمر أسرتها في غياب من يعولها ، ودامت للمرأة المصرية هذه الحقوق على أيام الدول المستقرة بشرائعهـــا وتقاليدها ، تضطرب مع اضطراب الدول وتعود مع عودة الطمأنينة إليها بيد أن الحضارة المصرية زالت وزالت شرائعها معها قبل عصر الإسلام وسرت في الشرق الأوسط يومئذ غاشية من كراهيـــــة الحياة الدنيا بعد سقوط الدولة الرومانية بما انغمست فيه من ترف وفساد ومن ولع بالملذات والشهوات فانتهى بهم رد الفعل إلى كراهة البقاء وكراهة الذرية وشاعت في هذه االفترة عقيدة الزهد والإيمان بنجاسة الجسد ونجاسة المرأة وباءت المرأة بلعنة الخطيئة فكان الابتعاد منها حسنة مأثورة لمن لاتغلبـــه الضرورة ، ومن يقايا هذه الغاشية في القرون الوسطى أنها شغلت بعض اللاهوتيين إلى القرن الخامس للميلاد فبحثوا بحثا جدياً في جبلة المرأة وتساءلوا في مجتمع (ماكون) هل هي جثمان بحت ؟ أو هي جسد ذو روح يناط بها الخلاص والهلاك ؟ وغلب على آرائهم أنها خلو من الروح الناجية ولا استثناء لإحدى بنات حواء من هذه الوصمة غير السيدة العذراء أم المسيح عليه الرضوان .

وقد غطت هذه الغاشية في العهد الروماني على كل ما تخلف من حضارة مصر الأولى في شأن المرأة وكان اشتداد الظلم الروماني على المصريين سبباً لإشتداد الإقبال على الرهبانية والإعراض عن الحيـــــاة ومازال كثير من النساك يحسبون الرهبانية اقتراباً من الله وابتعاداً من حبائل الشيطان و أولها النساء. " (١٠)

خلاصة هذا البحث التاريخي :

من خلال هذا السرد التاريخي نلاحظ أن الصراع بين الرجال والنساء كان موجوداً في البداية ولكن لم يكن واضحاً وضوحه اليوم كما لم يكن هناك عصر نساء ولاعصر رجال بالمعنى المطلق لهذه التسمية فوجود ربات من النساء وحاكمات من النساء لايعني أن المجتمع كان مديناً لسيادة المرأة كما أن وجود رقيقات من النساء ومستعبدات لايعني أن المجتمع كان محكوما من قبل الرجال فالمرأة لم تكن مسيطراً تماماً ولامضطهدة تماماً ووضعها عموماً مثل وضع الرجل مع اختلاف النسبة العددية بينهما فكما أن هناك رجالاً قادة وأشرافاً كان هناك رجال عبيد وأرقاء مسحوقون فلولا سواعد العبيد لما شيدت المعابد والهياكل والأهرامات.

وإذا تركنا الواجهة الخارجية للمجتمع وتوغلنا في داخل البنية الاجتماعية الخاصة لكل طبقة أو فئة أو أسرة عندما نستطيع أن نرى من يحكم من . فكم من نساء قاصرات في العلم والمعرفة يحكمن أزواجهن وبيوتهن بيد من حديد. وكم من نساء معلمات متأدبات يقعن تحت سطوة الرجال ولاحول لهن ولا طول. إن اختلاف الزمن يجعل للذكور أدواراً وللإناث أدواراً مثلها وغياب المرأة عن الساحة الاجتماعية في بعض الأحوال هو غياب ظاهري فسلطانها الحقيقي على الرجل موجود أبداً من خلال وظيفتها البيولوجية في عملية الخلق والولادة ومن خلال دورها في الأسرة فهي الأم والمربية والمسئولة عن تنشئة الأبناء جسدياً وعقلياً واجتماعياً . إن غياب الأم عن أبنائها وانشغالها عنهم بالعمل أو بسواه يخلق خللاً في العلاقة بينهما وبينهم وفي العلاقة بين الأبناء والمجتمع ويؤثر في سلوكهم وتصرفاتهم وصحتهم النفسية . تلك الملامح أو معالم مؤجزة تعطينا حكماً صادقاً عن الوضع الاجتماعي للمرأة في كثير من البيئات القديمة المتحضرة متدينة وغير متدينة ويمكن مما تقدم أن نلخّص الأخطاء السائدة في تلك المجتمعات :

١. إن إنسانيتها لم تكن وضع اعتبار لدى الرجل فلم يكن لها جهـــد معلوم أو دور مقرر تسهم بـــه في تنظيم المجتمع . وقد ظهـــر من هذا البحث كيف هبط بها بعضهم حتى كانوا يتدارسون فيما بينهم : هل المرأة إنسان له روح أو حيوان نجس لاروح له ؟

٢. إنها لم تكن لدى كثيرين أهلاً للتدين والتخلق بالفضيلة وقد ثبت أن " مانو" يجردها من شرف السلوك وغيره يتابعه على ذلك ويتشكك في أهليتها لعبادة الله .

٣. انعدام المساواة بين الإبن والبنت في نطاق الأسرة كما كان لدى العرب وقدامى الصين وانعدامها بين الزوج والزوجة كما كان لدى الهنود.

٤. إهـــــدار شخصيتها القانونية وأهليتها للتصرف الاقتصادي إذ كانت غالباً لاتملك ولاترث ولم يكن لها دور في بيع ولا شراء أو شركة أو نحوها من الشئون الاقتصادية والاجتماعية وقد كان القانون الروماني يعتبر (الأنوثة) سبباً أساسياً من اسباب انعدام الأهلية.

وقد نستطيع أن نجمل تلك الأخطاء في خطأ واحد، هو: أن إنسانيتها لم تكن محل اعتبار لدى الرجل إما لجحود تلك الإنسانية وتجريدها منها بتة ، وإما لإحساسهم بأن مهمات الحياة لاتقتضيها دوراً أساسياً تسهم بـــه في المحيط العام ، والمقرر أن أنوثة المرأة – مع مقتضيات الحياة البدائية – كانت السبب المباشر في تسلسل تلك الأخطاء وتطورها إلى الوضع الذي عرضت بعض ملامحه ولهذا كان من حكمـــــة الإسلام وأصالته أنه حين عرض لتقرير مكانة المرأة في الحياة عرض له على أساس الواقع من تقويمها أو تكوينها الفطري لخصائصها الروحية والحسية فأعلن إنسانيتها التي تستوي فيها مع الرجل ، وأعلن وصفهـــا الخاص الذي تنفرد به عنه باعتبارها انثى وفي تشريعه لكل من هذين الوصفين لم يقصر بها عن الوضع الذي قررته الفطرة لإنسان ولم يجاوز بها المدى الذي رسمته الطبيعة لأنثى.

الفصل الثالث

المرأة في الأديان السماوية

(١) موقف اليهود من المرأة:

لاشك في أن اليهودية دين سماوي ولكن متبيعها قاموا بالتحريف والتدليس والغش حسب أهوائهم الطائشة في هذا الدين وبدأوا يعملون خاضعين لأهوائهم وميولهم في هـــــذه الشريعة المنزلة من الله تعالى . فإن مواريث البداوة دعت بعض طوائفهم إلى أن يعتبروا البنت دون مرتبة أخيها وهبطوا بها حتى سووها بالخدم وكانت لاترث مع إخوتها الذكور وكان لأبيها أن يبيعها وهي طفلة أو دون البلوغ، وتعد المرأة أداة الشيطان فالشقاء جاء من المرأة ولم يأت من السماء . لابد من الخضوع النسائي المطلق للرجل ، وكان الزواج شبيهاً بالشراء. أما حق المرأة باختيار الزوج فكان مستهجناً على أن الشريعة سمحت للرجل باتخاذ الخـــليلة بينما المرأة تدخل في تركة الزوج يرثه أخوه في زوجته ، وكان الحجاب واجباً شرعياً . ولا أهمية للمرأة سواء كان في المجتمع أو في المجامع اليهودية لأن الصلوات العلنية في المجامـــــع اليهودية تستدعي حضور عشرة رجال لأن تسعة رجال ومليونا من النساء لاتؤلف محفلاً كاملاً ، فيكون عندئذ حضورالله ناقصاً لأن المرأة ليست شيئاً ، وحالتهم الذهنية والثقافية كانت رديئة جداً وكان من المسموح لليهودي استعمال اليهودية كما يشاء . وأن اليهودي يستطيع إشباع شهواته من الأجنبي وإمرأته من غير رادع لذلك يعلم التلمود اليهود أن اليهودي إذا زنا بإمرأة غير يهودية أو هتك عرض فتاة أجنبية فإنه ينال ثواباً عـــــندالله واليهودي لايؤمن بأنه يرتكب الفحشاء عندما يفض بكارة فتاة نصرانية وأن لليهودي حقا أن يتمتع في إمرأة غير مؤمنة وإن تجارة البغاء الأجنبي أو الأجنبية ليست إثما لأن الشريعة براء منهما، ولهذا السبب يسمح في بعض الظروف لليهودية أن تتزوج نصرانيا حتى تسليه دينه بمساكنتها له ساكنة غيرشرعية.

وبسبب قيامهم بالغش والخداع في الشريعة الإلهية أنهم وقعوا في غاوية مهيبة تلمع مثل السراب الخادع الذي لايمكن أن يرتوي الظمآن منه وجاء في كتبهم

المحرفة من يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع أمة يمكنه أن يصيرحكيماً ، ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع شقيقته له أمل كبير في إنارة نفسه ، ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع إمرأة قريبة يحصل على السعادة الخالدة . (١١) هذه هي الحالة الدماغية لهم بعد تحريفهم في دينهم وشريعتهم .

(٢) موقف النصارى من المرأة :

النصرانية هي أيضاً من الأديان السماوية وأن النصارى فعلوا بها أيضاً مثلما فعل اليهود بدينهم السماوي ، وفي النصرانية غلا رجال الكنيسة في إهدار شأن المرأة وهم دعاة شريعة الحب والرحمة فكانوا يقولون للنساء قولاً له وزن الشرع المقدس: إنه أولى لهن أن يخجلن من أنهن نساء ، وأن يعشن في ندم متصل جزاء ما جلبن على الأرض من لعنات . " (١٢) وزعموا أن النساء باب الجحيم وأنهن الخطيئة مجسمة ، وقد ذهب البعض إلى أبعد من هذا، فزعموا أن أجسامهن من عمل الشيطان وأنه يجب أن يلعن النساء لأنهن سبب الغواية ، وكان يقال : إن الشيطان مولع بالظهور في شكل أنثى . وأنهم لم يقفوا إلى هذا الحد بل عدوه إلى صوغ بعض الأسئلة عن المرأة :

١- هل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل؟

٢- هل تدخل الجنة وملكوت الآخرة ؟

٣- هل هي إنسان له روح يسري عليه الخلود؟

٤- أو هي نسمة فانية لاخلود لها ؟

وأنهم يعتبرون المرأة أم كل مساوئ الإنسان يجب عليها أن تعيش في عقوبة مستمرة وذلك بسبب اللعنات التي جرتها على العالم، كان لزاماً عليها أن تخجل من ملابسها لأن هذه الملابس تمثل ذكرى سقوطها يجب عليها أن تستحي من جمالها لأنه أخطر سلاح من أسلحة الشيطان وأقواها. إن الهجوم الخطير والأكثر

ضرراً للمرأة هو ماقاله تبيروليان: هل تعرفن أن كل واحدة منكن هي حواء بعينها ؟ إن حكم الإله على جنسكن باق إلى اليوم وعليه يجب أن يظل الإثم باقياً حياً أيضاً. إنكن مدخل إبليس، إنكن كشفتن وفضضتن ختم تلك الشجرة الممنوعة ، إنكن أول من تخلى عن القانون المقدس. هذا ما كان من مكانة المرأة في نظر النصارى واليهود هذا ما هو سائد ومتفش في مجتمع اليهود والنصارى وأما ما يتعلق بالكتب السماوية فهو سيأتي تحت العنوان القادم .

الرأي تجاه الكتب السماوية غير القرآن :

أما ما يتعلق بالكتب السماوية والصحف الموحاة إلى عباد الله الخلص ورسله المختار قد أنزلها الله حسب قانونه وقدرته ومشيئته ولكن المؤمنين بها قد استخدموا أذهانهم في القانون الإلهي وما دعوه كما نزل و بكل صراحة أحب أن أقول أن الله قد أنزل كتباً سماوية وبعض الصحف وكلما قال الله فيها هو حق وصدق واضح جلي أما العمل بها من حيث هي ، هذا شئ آخر لأن نزول هذه الكتب والصحف للعمل بها، لاللزينة والتبرك والتعاويذ والتمائم ، وكذلك ما أنزل الله هذه الكتب لبث النزاع والخصومة الفارقة بين إنسان وإنسان وقوم وقوم ودولة ودولة في هذا العالم. وأما السوال ما هي الأحكام والأوامر التي توجد في هذه الكتب والصحف؟ والجواب على هذا السؤال لايمكن لنا أن نقول شيئاً عن الأحكام والأوامر التي توجد في هـــذه الكتب والصحف دون القرآن الكريم لأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد من الكتب السماوية والصحف الذي يوجد من حيث هو نزل أما الكتب الأخرى قد تلاعب بها أهلها وحرفوا في هذه الكتب إشباعاً لرغباتهم الطائشة لذا لم يمكن لنا أن نفسر أو نوضح عنها شيئاً أو حكماً أو أمراً لأن صورتها الأصلية ليست موجودة ولانستخلص ولانستنبط منها أحكاماً بل من واجبنا أن نؤمن

بنزولها فقط.فإن آمنا فقط بنزول هذه الكتب السماوية والصحف ما سلمنا وجودها من حيث هي نزلت سوى القرآن الكريم. إذن أصبح الأمر واضحاً جلياً لاغموض فيه ولا إبهام بوضوح الشمس وسط النهار ، لذا لايمكن لنا في هذا الفصل الذي سميناه " المرأة في الأديان السماوية " أن نقدم دلائل وبراهين لإثبات مكانة المرأة في مجتمعات المؤمنين بهذه الكتب ، أما مكانة المرأة في اليهود والنصارى هي ما ذكرَ في بداية هذا الفصل ، وهي رديئة جداً وأنا متأكد من هذه المكانة الرديئة التي تعانيها المرأة وليس من الحق أن نقول قد نزلها الله في هذه الكتب لأن الله قد نزل في القرآن آيات منها وحتى سوراً منها عن مكانة المرأة المرموقة وكيف يمكن أن نتصورأن الله قد نزل شيئين معاكسين عن نفس واحدة ، هذا شئ محال. فكرتنا تتغير وتتبدل ورأينا ينحرف وخيالنا يصيب ويخطئ وذهننا يقبل الأمر وينكر وتصورنا يروح ويغدو ولكن الله له رأي مكين وطيد أنه لايظلم الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

ومؤدى الكلام :

لايمكن أن نقول أن الله قد أنزل في التوراة أو في الزبور أو في الإنجيل أن المرأة ليس لها مكانة أو أنها خدامة للرجل أو أنها شيطانة أو أنها كذا وكذا ، بل أنزل الله فيها أحكاماً وأوامر مكينة وطيدة جميلة حسب الأوضاع والظروف وأذهان الناس ولكن الناس بدأوا يتدخلون فيها ويظهرون صلاحيتهم ويعملون لإشباع رغباتهم ويستغلون الأحكام الشرعية وهذا عصيان ومعصية لاشك فيه. ومن نتيجة ذلك العصيان والتمرد أنهم قد وقعوا في الغي وانغمسوا في الضلال والمهانة ، لأنهم كانوا يأخذون الحلو ويتركون المر ولم يعلموا نتيجة ذلك الاختيار حسب رغباتهم العشوائية ويتلاعبون بأحكامه وأوامره كيفما يشاؤن ومن يتلاعب بكتب الله وسنة رسله يجد ألمين عظيمين لايمكن أن نتصور عظمة أليمه لأنها فوق مانتخيل ونتصور. ألم في الدنيا وهو الجبـــــــانة والخوف من غير الله والضعف في

العقيدة والخوف من فقر الأولاد وخوف موارد الدخل والحرص المفرط في جمع الأموال وعدم الانفاق في سبيل الله وخوف المرض والوباء وغير ذلك من الأشياء التافهة ، وألم في الآخرة وهو فوق طاقتي ووسعي وقدرتي أن أفسره لأن القرآن والسنة المطهرة مليئة بالوعد والوعيد بالنسبة للآخرة كما جاء في القرآن : " المال والبنون زينة الحياة الدنيا والبقيت الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيرأملا. " وقد وضّح القرآن الكريم حقيقة الحياة الدنيا ومافيها من مال ومتاع ، وقال المال والبنون زينة الحياة الدنيا ونحن نعلم جيداً أن الزينة تزول ولاتستمر ولاتدوم بل يتخذها الإنسان لوقت قصير وأمد غير بعيد ثم يتركها أو تزول بنفسها أما مايبقى وينفع هو الأعمال الصالحة من حيث الثواب والرجاء الأكيد.

الجزيرة العربية

لاشك في أن جزيرة العرب كانت قحلاء جرداء ومقفرة ومجدبة وهي لاتسمح للنظرإلا أن يقع على التلل والأدوية المخنية والجبال وسفوحها غير الأهلة بالسكان وأكوام الرمال التي لاتمنح قدم الإنسان للتحرك لشدة حرارتها ويخدع سرابها الضمآن والعطشان والفقر المدقع يدق أبواب جوع بطونهم وتحن أنظارهم ولحظاتهم إلى رؤية بشئ يريح أذهانهم وقلوبهم ويطرد وحشتهم ويسد أبواب سغب بطونهم على وجهه وذلك الشئ هو الماء والكلإ ورؤية إنسان لإنسان آخر.

وهم قوم رجل وقبائل معدودة ترحل وتنتقل من مكان إلى أخر فى البحث عن الماءوالكلاءوكانت تتجشم العقبات والعراقيل المعقدة فى هذا السفر الوعر وكانت حياتهم الإجتماعية تقوم على الأحساب والأنساب وعبادةالمال يتسابقون إلى جمعه من أيسرالسبل وأحط الطرق فتفشى بينهم الربا يتعاملون به ويتجرون فى الرقيق لا تربتهم القومية تمظمهم محبة ولارحم أقواهم عندالناس وأخشاهم أكثرهم مالاورجالا وبسبب هذه الفوضى الخلقية والعقلية والذهنية وكثرة الديانات الوثنيةإختلط الحابل باالنابل وامتزج الخيروالشرولم يعد الفرق بين الأصل والزائف.قد نسى الإنسان خـــــالقه فنسى نفســـــه ومصيره وفقد رشده وقوةالتمييزبين الخيروالشروالحسن والقبح وقد خفتت دعوةالأنبياءمن زمن،والمصابيح التى أوقدوها قد إنطفأت من العواصم التى هبت بعدهم.هذه هى طبيعتهم السلبية التى قد دبت فى أجسامهم أذهانهم و قلوبهم.

ملامح المجتمع الجاهلي

وإن نريد الخوض في هذا الموضوع يجب علينا أن نرجع إلى القرآن الكريم نجد فيه صورة حياة الجاهلي الأصلية لأن الكتاب من المؤرخين بعضهم يميلون إلى الإيجابيات فقط والبعض الآخر إلى السلبيات فقط وهذا ليس من المسموح لأي كاتب أن ينحرف من العدل والوسطية لذا يجب علينا أن نلجأ إلى كتاب الله وسنة رسوله لأن

القرآن يعمل بجد وجهد في محو ملامح المجتمع الجاهلي ونبذ رواسبه وفي تكييف ملامح المجتمع المسلم وتطهيره من رواسب الجاهلية فيه وجلاء شخصيته الخاصة كما يعمل بجد ونشاط بارع في استجاشته للدفاع عن كيونته المميزة وذلك ببيان طبيعة المنهج الذي منه انبثقت هذه الكينونة المميزة والتعريف بأعدائه الراصدين له حوله من المشركين وأهل الكتاب وبخاصة اليهود وأعدائه المتميعين فيه من ضعاف الإيمان والإيمآن والمنافقين وكشف وسائلهم وحيلهم ومكايدهم وبيان فساد تصوراتهم ومناهجهم وطرائقهم مع وضع الأنظمة والتشريعات إلى تنظيم هذا كله وتحدده وتصبه في القالب التنفيذي المضبوط.

وهذه الرواسب الجاهلية تتصارع مع المنهج الجديد والقيم الجديدة والاعتبارات الجديدة وتحاول لمس الملامح الجديدة الوضيئة الجميلة. والمجتمع البدائي المتخلف كالمجتمع العربي في الجاهلية القديمة والمجتمع الصنـــــــاعي المتحضر كالمجتمع الأروبي والأمريكي في الجاهلية الحديثة كلاهما يجد في المنهج الرباني والنصوص القرآنية مكانة ومرتبة وإن الجاهلية ليست فترة ماضية من فترات التاريخ إنما الجاهلية كل منهج تتمثل فيه عبودية البشر للبشر وهذه الخاصية تتمثل اليوم في كل مناهج الأرض بلا استثناء. ففي كل المنهج التي تعتنقها البشرية اليوم يأخذ البشر من بشر مثلهم: التصورات والمبادئ ، والموازين والقيم ، والشرائع والقوانين ، والأوضاع والتقاليد ، وهذه هي الجاهلية بكل مقوماتها . الجاهلية التي تتمثل فيها عبودية البشر للبشر من البشر لأنهم يتلقون التصورات والمبادئ والموازين والقيم والشرائع والقوانين والأوضاع والتقاليد من يد الله فإذا احنوا رؤوسهم فإنما يحنونها لله وحده وإذا خضعوا للنظام فإنما يخضعون لله وحده ومن ثم يتحررون حقا من عبودية العبيد للعبيد حين يصبحون عبيدهم لله بلاشريك. وهذا مفرق الطريق بين الجاهلية في كل صورة من صورها وبين الإسلام .

و مما لاشك فيه أن كل أمر أو نهي أو توجيه ورد في القرآن الكريم كان يواجه حالة واقعة في المجتمع الجاهلي وكان يتوخى إما إنشاء حالة غير قائمة وإما إبطال

حالة قائمة ، والنصوص القرآنية جاءت لتعمل في كل جيل وفي كل بيئة وفي هذا تكمن المعجزة. ومن ثم فنحن حين نقرأ القرآن نستطيع أن نتبين منه ملامح المجتمع الجاهلي من خلال أوامره ونواهيه وتوجيهاته كما نستطيع أن نتبين الملامح الجديدة التي يريد أن ينشئها وأن يثبتها في المجتمع الجديد. الآن والسوال هنا . فماذا نحن واجدون في القرآن من ملامح المجتع الجاهلي التي ظلت راسية في الجماعة المسلمة ، منذ أن التقطها المنهجَ الرباني من سفح الجاهلية ؟ وماذا نحن واجدون من الملامح الجديدة التي يراد إنشائها في المجتمع الإسلامي الجديد وتثبيتها؟

حالة المرأة في المجتمع الجاهلي

إن نسترق النظر إلى المجمتع الجاهلي في ضوء القرآن والسنة النبوية نجد مجتمعاً تواكل فيه حقوق الأيتام وبخاصة اليتمات في حجور الأهل والأولياء والأوصياء ويستبدل الخبيث منها بالطيب ويعمل خيفة أن يكر اليتامى فيستردها وتحبس فيه الصغيرات من ذوات المال ليتخذهن الأولياء زوجات طمعاً في مالهن لارغبة فيهن أو يعلين لأطفال الأولياء للغرض ذاته . ولم يكن الحال هكذا في شبه الجزيرة وحدها إنما كان شائعاً في العالم كله يومذاك فكان وضع المرأة هو وضع الرقيق أو ما هو أسوأ من الرقيق في جنبات الأرض جميعاً فوق ما كان ينظر إلى العلاقات الجنسية نظرة استقذار وإلى المرأة كأنها شيطان يغري بهذه القذارة.

ونجد مجتمعا يجار فيـــــــــه الصغار والضعاف والنساء فلايستلم لهم فيه بنصبهم الحقيقي من الميراث إنما يتأثر فيه بمعظم التركة الرجال الأقوياء القادرون على حمل السلاح ولاينال الضعاف فيه إلا الفتات ، وهذه الفتات الذي تناله اليتيمات الصغيرات والنسوة الكبيرات هو الذي يحتجزن من أجله ويحبسن على الأطفال من الذكور أو على الشيوخ من الأولياء كي لايخرج المال بعيداً ولايذهب في الغرباء وأنهم كانوا يضعون المرأة موضعاً غير كريم ويعاملها بالعسف والجور في كل أدواره حياتها

يحرمها الميراث أو يحبسها لما ينالها منه ، ويورثها الرجل كما يورثه المتاع فإذا مات زوجها جاء وليه فألقي عليها توبة فيعرف محجورة له، إن شاء نكحها بغير مهر وإن شاء زوجها وأخذ مهرها ويعضلها إذا طلقها فيدعها كما لاهي زوجة ولاهي مطلقة حتى تفتدى نفسها منه وتفك أسرها، وتضطرب في هذا المجتمع قواعد الأسرة بسبب هبوط مركز المرأة فيه علاوة على اضطراب قواعد التبني والولاء واصطدامها مع قواعد القرابة والنسب فوق مافيه من فوضى في العلاقات الجنسية والعائلية حيث تزوج اتصلات السفاح والمخادنة . وهذه الجاهلية لاتعرف للمرأة حقوقها الإنسانية فتنزل بها عن منزلة الرجل نزولاً شنيعاً يدعها أشبه بالسلعة منها بالإنسان ، وذلك في الوقت الذي تتخذ منها تسلية ومتعة بهجية وتطلقها فتنة للنفوس وإغراء للغرائز ومادة للتشهي والغزل العاري المكشوف ، وترث هذه الجاهلية المرأة كما تورث البهائم والمتروكات .

وقد كان لكل جاهلية من حولهم أرجاسها وكان للعرب جاهليتهم وأرجاسها ، ومن أرجاسها ما حكته عائشة – رضي الله عنها – وهي تصور أنواع الاتصال بين الجنسين في الجاهلية كما جاء في صحيح البخاري في هذه الصورة الهابطة الحيوانية المرزية.

إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء :

١. فنكاح منها نكاح الناس اليوم : يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو بنته فيصدقها ثم ينكحها .
٢. نكاح الاستبضاع : كان الرجل يقول لإمرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلي إلى فلان فاستبضي منه ويعتزلها ولايمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب . وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الرجل فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاء.

٣. ونكاح آخر يجتمع الرهط مادون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطيع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يافـــــــلان تسمى من أجبت منهم باسمه، فيلحق به ولدها ولايستطيع أن يمتنع الرجل منه.

٤. يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لاتمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم إلحقوا ولدها بالذي يرون فالتاله ودعي إبنه لايمتنع من ذلك. ولا لزهده هذه الصورة على هبوط التصور الانساني وبهيمة لاتحتاج إلى تعلين ويكفي تصور الرجل وهو يرسل امرأته إلى فلان لتأتي له منه بولد نجيب تماما كما يرسل ناقته أو فرسه أو بهيمته إلى الفحل النجيب لتأتي له منه نتاج جيد. ويكفي تصور الرجال مادون العشرة يدخلون إلى المرأة مجتمعين كلهم يصيبها ثم تختار هي أحدهم لتلحق به ولدها. وهناك مصيبة أخرى التي قد وجهت المرأة وهي مصيبة وأد البنات وقد بلغت كراهة البنت إلى حد الوأد ذكر الهيثم بن عدي على ما حكاه عند الميداني أن الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الإسلام وكانت مذاهب العرب مختلفة في واد الأولاد فمنهم من كان يئد البنات لزيد العزة ومخافة لحوق العار بهم من أجلهن ومنهم من كان يئد من البنات من كانت زرقاء ، أو شيماء (سوداء)، أو برشاء (برصاء) أو كسحاء (عرجاء) تشاؤماً منهم بهذه الصفات ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر . وكانوا يقتـــلون البنات ويئدوهن بقسوة نادرة في بعض الأحيان فقد يتأخر وأد الموءودة لسفر الوالد وشغله فلايئدها إلا وقد كبرت كبرت وصارت

تعقل . وقد حكوا في ذلك عن أنفسهم مبكيات . وقد كان بعضـــــهم يلقي الأنثى من شاهق (١٢)

ومن هذه الوحدة العالمية ارتفع الإسلام بالمرأة وبالعلاقات الزوجية إلى ذلك المستوى الرفيع الطاهر الكريم وأنشأ للمرأة ما أنشأ من القيمة والاعتبار والحقوق والضمانات ولسيدة لاتوأد ولادتها مخطوبة لاتنكح إلا بإذنها ثيباً أو بكراً وزوجة لها حقوق الرعاية فوق ضمانات الشريعة مطلقة لها الحقوق المفصلة في سورة الطلاق.

شرع الإسلام هذا كله، لا لإن النساء في شبه الجزيرة العربية أو في أي مكان في العالم حينذاك شعرن بأن مكانهن غير مرضى . ولا لإن شعور الرجال كذلك قد تأذى بوضع النساء ولا لإنه كان هناك اتحاد نسائي عربي أو عالمي ، ولا لإن المرأة دخلت دار الندوة أو مجلس الشورى ، ولا لإن هاتفاً واحداً في الأرض هتف بتغيير الأحوال إنما كانت هي شريعة السماء للأرض وعدالة السماء للأرض وإرادة السماء بالأرض أن ترتفع الحياة البشرية من تلك الوهدة وأن تطهر العلاقات الزوجية من تلك الوصمة وأن يكون للزوجين من نفس واحدة حقوق الإنسان وكرامة الإنسان هذا دين رفيع لايعرض عنه إلا مطموس ولايعيبه إلا منكوس ولايحاربه إلا موكوس فإنه لايدع شريعـــــــة الله إلى شريعة الناس إلا من أخلد إلى الأرض واتبع هواه.

TH-17964

تشاؤم العرب الجاهليين بالأنثى

كثير من أهل الجاهلية تطير من المرأة فامتهنها وعدّها أداة شر وكان بلاءه الأكبر أن تولد له الأنثى . وهؤلاء فريق غلوا في كرههم الأنثى حتى كان ما قصه الله علينا من أمرهم من شهوتهم البنين وكرههم البنات:

١) " ويجعلون لله البنات سبحـــــانه ولهـــــــم ما يشتهون "(١٣)

ويجعلون الملائكة بنات الله :

٢) " وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئا لون . " (١٤)

٣) وقال الله تعالى واصفاً لهم معرضاً بهذا المثل الذي جعلوه لله :

" وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدســـــه في التراب ألا ساء ما يحكمون. " (١٥)

الهوامش

١. ملخص من كتاب " ماذا عن المرأة " الدكتور نورالدين عتربة، و"الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة "، البهي الخولي ، و" الإسلام والمرأة " سعيد الأفغاني.

٢. جمانة طه: المرأة العربية في منظور الدين والواقع – دراسة مقارنة . ص: ٣٣

٣. الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ص: ١١، البهي الخولي، دارالقلم كويت – طبعة ثالثة.

٤. موسوعة المعارف ج ٤ ص ٤٠٩.

٥. ماذا عن المرأة ؟ للدكتور نورالدين عطر، دارالفكر المملكة العربية السعودية.

٦. الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ص: ١١، البهي الخولي، دارالقلم كويت – طبعة ثالثة.

٧. المرأة في القرآن – عباس محمود العقاد – ص، ٤٨

٨. الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ص: ١٢، البهي الخولي، دارالقلم كويت – طبعة ثالثة.

٩. المرأة العربية في منظور الدين والواقع – دراسة مقارنة – جمانة طه ، ص: ٣٨

١٠. المرأة في القرآن . للأستاذ عباس محمود العقاد ، ص: ٥٠

١١. المخلص من كتابين :

١- المرأة في الإسلام وقبله – دراسات مقارنة للشيخ سعيد بن عبدالله سيف الحاتمي.

٢- المرأة والحياة الزوجية في القرآن (أردو) محمد كليم أرائين ، مكتبه الحسنات ، دلهي

١٢. الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ،البهي الخولي، دارالقلم كويت.

١٣. سورة النحل، الآية ٥٧

١٤. سورة الزخرف، ٤٣ الآية ١٩

١٥. سورة الزخرف، الآية ١٧

١٦. سورة النحل، الآية ٥٨، ٥٩

الباب الثاني

مركـــز المـــرأة

في

ضوء القرآن والسنة

الفصل الأول

محاولة الإسلام تجاه المجتمع
بعد محو الرواسب الجـــاهلية

من تلك الجاهلية التي عانتها المرأة وتكبدتها بشق نفسها التقط الإسلام المجموعة التي قسم الله لها الخيروقدر أن يسلمها قيادة البشرية فكون منها الجماعة المسلمة وأنشأ بها المجتمع المسلم ذلك المجتمع الذي بلغ إلى القمة التي لم تبلغها البشرية قط والتي لاتزال أملاً للبشرية. وفي القرآن الكريم نجد بعض الملامح التي يتوخى المنهج الإسلامي إنشاءها وتثبيتها في المجتمع المسلم وبعد تطهيره من رواسب الجاهليّة وإنشاء الأوضاع والتشريعات التنفيذية التي تكفل حماية هذه الملامح وتثبيتها في الواقع الاجمتاعي.

نجد في كثير من الأماكن في القرآن العظيم تقريراً لحقيقة الربوبية ووحدانيتها ولحقيقة الإنسانية ووحدة أصلها الذي أنشأها منه ربها، ولحقيقة قيامها على قاعدة الأسرة واتصالها بوشيجة الرحم مع استشاجة هذه الروابط كلها في الضميرالبشري واتخاذها ركيزة لتنظيم المجتمع الإسلامي على إساسها وحماية الضعفاء عن طريق التكافل بين الأسرة الواحدة ذات الخالق الواحد وحماية هذا المجتمع من الفاحشة والظلم والفتنة وتنظيم الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والمجتمع الإنساني كله على أساس وحدة الربوبية ووحدة البشرية: " ياأيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً. " (١) وهذه الحقيقة الكبيرة التي تضمنتها هذه الآية تمثل قاعدة أصلية في التصورالإسلامي تقوم عليها الحياة الجماعية.

ونجد التشريعات العلمية لتحقيق البناء التكافلي للجماعة مستندة إلى تلك الركيزة : في حماية اليتامى نجد التوجيه الموصي والتحذير المخيف والتشريع المحدد والأصول : " وآتوا اليتامى أموالهم ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب ولاتأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً. " (٢) و " وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولاتأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهـــدوا عليهم وكفى بالله حسيباً . " (٣) و" وليخش الـذين لوتركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا

عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً. " (٤)

وأما حماية الإناث خاصـــــة يتيمات صغيرات ونساء مستضعفات وحفظ حقهن جميعاً في الميراث وفي الكسب وفي حقهن في أنفسهن واستنفاذهن من عسف الجاهلية وتقاليدها الظالمة المهنية فنجد أمثال هذه التوجيهات والتشريعات المنوعة الكثيرة : " وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحـــدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاتعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شئ منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً. " (٥) و"للرجـــال نصيب مماترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً . " (٦) و " ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلاتأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ؟ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً." (٧) " ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ومايتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لاتؤتونهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الوالدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وماتفعلوا من خيرفإن الله كان به عليماً . " (٨)

وفي تنظيم الأسرة وإقامتها على أساس ثابت من موحيات الفطرة وتوفير الحماية لها من تأثير الملابسات العارضة في جو الحياة الزوجية والاجتماعية مثل هذه التوجيهات والتنظيمات بالإضافة إلى ما ورد منها في ثنايا الحديث عن اليتيمات والمطلقات : " ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً. حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم

وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ماقد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً. " (٩)

وفي تنظيم علاقات الميراث والتكافل بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الموالي والأولياء الذين كانوا متعاقدين قبل نزول تشريعات النسب وإبطال التبني تردهذه المبادئ الجامعة - وهذه – التشريعات المحددة ذات الأهـــداف الاجتماعية البعيدة وقد أشارإليها " للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مماترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضـاً . " (١٠) وفي موضع آخر قال : " يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل منهما السدس مماترك إن كان له ولد و إن لم يكن له ولـد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين ". (١١) وذكر إلى أمرالموالي وقال : " ولكل جعلنا موالي مماترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شئ شهيداً " . (١٢)

وعني الإسلام عناية مغرية بحماية المجتمـــــع وتطهيره من المتخلفات الفاسدة والرواسب الضارة الجاهلية والحضارات القديمة البالية المطبولة ، وحاول أن يبعد الناس والمجتمع من الفاحشة وجاهد في توفيرأسباب الإحسان والوقاية نجد مثل هذه التنظيمات في " اللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفـاهن الموت ، أو يجعل الله لهن سبيلاً واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحـــا فأعرضـــوا عنهمـــا إن الله كان تواباً رحيماً. " (١٣)

وبذل الإسلام قصارى جهوده الجبارة في تنظيم العلاقات الوثيقة الوطيدة بين أفراد المجتمع المسلم كله وأن يقيمها على التكافل والتراحم والتناصح والأمانة والعدل والسماحة والمودة والإحسان وأشار إليهـــا في : " ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل

الله لكم قياماً وارزقوهم فيها وأكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً " . (١٤) وفي موضع آخر : " واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجارذي القربى والجارالجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ومامَلكت أيمانكم إن الله لايحب من كان مختالاً فخوراً الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولايؤمنون بالله واليوم الآخـــــر ومن يكن الشيطـــــان له قرينا فساء قريناً ... " (١٥)

الفصل الثاني

من معطيات الإسلام للمرأة

هكذا قد غير الإسلام ومحا الرواسب والمتخلفات الجاهلية العنيدة من المجتمع الإنساني وأرشده إلى الحق والصواب والرشد والسداد وأول ما بدأ به مظالم المرأة فضى عليها قضاء مبرماً وغي أشد العناية بأشعار الرجل أن المرأة مخلوق مثله في الإنسانية ومكن لهذا الشعور التمكين كله فنجد في التنزيل العزيز: " هوالذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها. " (١٦) " ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء " . (١٧) " والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة. " (١٨) " فاطرالسموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً . " (١٩) ولأمر ما كرر الوحي الإشارة إلى أن الرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة فهو يريد استئصال امتهان راسخ في نفوس بعضهم للنساء ثم عرف الإسلام لها حقوقها الكاملة وأراحها من عنت الجاهلية وإرهاقها بعد أن عانت منهما ما عانت ثم بوّأها المقام المحترم في بيتها وفي المجتمع وأوصى بها.

كان وأد فجاء الإسلام بتحريمه فلم تكن موءدة منذ انتشار الإسلام حتى يومنا هذا؛ وكان سبي فحرم الإسلام السبي منذ حرم الغزو. وكان إمتهان لإنسانيتها فسوي الإسلام بين دم الرجل والمرأة وصار يقتل قاتلها كما سوي بينهما في حد القذف، وكان استئثار دونهن بالمهور فجعلها الإسلام حقاً خالصاً لاينزعه إلا ظالم.

ووكان تعدد الزوجات غيرمحدود ولامقيداً فجاء الإسلام مُحدداً له مقيداً إياه بقيود كفيلة بالقضاء عليه كما بالرق. وكان إكراه للفتيات على البغاء ليكسبن لأسيـــادهن مالاً، فجاء الإسلام معلنا "ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء" . (٢٠)

وكان قتل للأولاد من الفقرأو من خشيته فجاء الإسلام حامياً لهم مطمئناً آباءهم على أرزاقهم وأرزاقهـــم أولادهم مخاطباً الفقراء منهم بهذا القول الكريم : " ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم. " (٢١)، وغير الفقراء بقوله : " ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق وإياكم وإن قتلهم كان خطأ كبيراً. " (٢٢) وكان حرمان ميراث فقرر لهن حقوقهن فيه " للذكرمثل حظ الأنثيين " . (٢٣) وجعل هذه الحقوق فريضة

من الله نافذة . وكان عضل لهن عن الزواج طمعاً في أن يفتدين أنفسهن بمال فيرتوهن فجاء الإسلام ناهياً عنه زاجراً : " ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن " . (٢٤) وكان إساءة عشرة لهن فنزل الوحي بهذه الكلمة الطيبة الجامعة " وعاشروهن بالمعروف"(٢٥) وكان الولد يرث زوجات أبيه في جملة المتاع فجاء الإسلام رادعاً أشد الروع عن هذا المنكر بقوله: " ولاتنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً . " (٢٦)

ثم من لها تشريعاً مفصلاً في الإرث والزوج والطلاق مبيناً ما لها وماعليها ضمن هذا الأساس العادل " ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف" (٢٧) وجعل المهرحقاً خالصاً للمرأة ونهى عن مسه بأي سبيل كان: " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة " . (٢٨) وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلاتأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً . " (٢٩) وجعل إحسان العشرة الزوجية من أهم ما يجب على الرجل التزامه وكرّه الشارع الطلاق إلى الناس وبغضه وشدد فيه ورتب على الرجل إن أوقعه واجبات غيرسهلة بل إنه توقع للرجل خيراً كثيراً إن هو أبقى على العلاقة الزوجية حتى حين تشتد الكراهية بين الزوجين وقال تعالى : " وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً . (٣٠) وأجّل أجلا للمطلقات : مدة طويلة يبقين فيها في بيوتهن ليرجع الرجل إلى نفسه فتيلافى مافرط منها وهذا غاية الإحتياط في توثيق هذا العقد بين الزوجين حتى إذا أعيت كل حيلة وتنغص غيش الزوجين ولم يكن تمدّ من الفراق بد كان الواجب على الزوج إذا اعتزم الطلاق : " تسريح بإحسان" (٣١) . وهكذا نجد المعروف والإحسان هما أساس كل علاقة زوجية وهما الأساس أيضاً بعد انقضاء تلك العلائق . وقرر في مواريث النساء هذه القاعدة : " وللرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً. " (٣٢) وبين للمرأة حقوقها من الإرث:

زوجاً وأما بنتاً وأختاً فصارت كالرجل ذات حقوق أصلية منصوص عليها بالتفصيل . فهي تتساوي والرجل في الحرية الملطقة فلها حق الكسب : وللنساء نصيب مما اكتسبن " (٣٣) ولها حق حيازة المال أو إهدائه لمن تشاء " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شئ منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً. " (٣٤) وتساوي هي والرجل كذلك في الحقوق الدينية : " فاستجاب لهم ربهم إني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكمَ من بعض." (٣٥) وكذلك قال : من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكرأو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة فيرزقون فيها بغير حساب . " (٣٦) وقد رفع الله شأن المرأة بأنه شرفها بالإيحاء الإلهي : وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك على نساء المؤمنين" (٣٧) وكذلك قال : وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولاتخافي ولاتحزني. " (٣٨)

وجعل الإسلام المصاهرة في مثل أهمية القرابة " وهو الذي خلق من الماء بشراً وجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً" (٣٩) ويقدم الزواج للهيئة الإنسانية خدمة مزدوجة فهو الوسيلة لسمو الإنسان روحياً ولرفاهية الجنس البشري كذلك : هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها " (٤٠) وفي موضع آخـــر قال: " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. " (٤١) والقرآن الكريم يحض على الزواج دواما ولايقر حياة العزوبة والتجرد والزهد في الدنيا وقال : وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم " (٤٢) ومن لايستطيع الزواج فعليه الزواج أن يحاول أن يكون عفيفاً طاهراً بوسائل أخرى صحيحة لائقة كالصيام لائقة وغيره ، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج : فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء . " (رواه البخاري). هذه النواحي المضيئة النيرة الجميلة التي ترشد جميع الناس إلى الرشد والصواب والنجاح والفوز وخاصـــــة تقود الشباب الزين يوشك أن ينغمسوا في الرذائل والخبائث ويكونوا وصمة عار على جبينة هذه الشريعة البيضاء ليلها كنهارها وردعتهم عن

الأقذار والمكروهات والمحظورات بل حددت الصراط المستقيم ، لأن الشباب هم ثروة قيمة لأمتهم وقومهم وبلادهم وأنهم من المظطلعين بمسئولية عبء أمتهم ووطنهم الحبيب وكواهلهم ليست فارغة أو خالية من الثقل والأود والعبء بل هم مقيدون بقيود المسئولية والاحتياجات الملحة حسب الحالات والظروف.

والزواج عقد مقدس بين الرجل والمرأة ينفذانه بالرضا والقبول : وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً " (٤٣) وقد عني الإسلام بعناية هامة جداً أن يطهر المجتمع المسلم ويبعد الناس عن الفواحش والمنكرات ويبقى بعض الأقارب على ما يليق بهم المركز في المجتمع ولايختلط الأقارب بالمساوي والمتخلفات والروسب الجاهلية في هذا المجتمع النظيف الطاهر وقال : حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهـــاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهاتكم نساءكم وربائبكم التي في حجوركم أمهاتكم من نساءكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم وحلائل أبناءكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً . " (٤٤)

والأساس المتين أن يتزوج الرجل من إمرأة واحدة ولكن في بعض الظروف الاستثنائية يسمح للرجل أن يتخذ زوجة أخرى ولكن بشرط أن لايترك نصيباً كبيراً من العدل والمساواة وقال : "وإن ألا تقسطوا في اليتامى فانحكوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم" (٤٥). والإسلام حريص كل الحرص على تحسين الحالة الخلقية للزوجين كي يطمئن بالهما أثناء مدة هذا الرباط المقدس ولذا أجاز أن الإنسان يجب عليه أن يكون مقتنعاً وراضياً كل الرضا عمن يختارها قبل البدء في الزواج عن مغيرة بن شعبة أنه قال :" خطبت إمرأة فقال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :هل نظرت إليها ؟ فقلت لا، قال: فانظر إليها فإنه أحرى أن يدوم بينكما " . وكانت تجبر على المرأة فجاء الإسلام ومحى هذا الإكراه وقرر على الولي أن يحصل موافقة المرأة التي يريد أن يزوجها، وقال رسول الله –

صلى الله عليه وسلم – : لاتنكح الأيم حتى تستأمر ولاتنكح البكر حتى تستاذن ". أما المرأة التي يزوجها أبوهـــا أو وليهـــا عن غير رغبتها أو رضاها فنكاحها وزواجها مردود : عن خنسة بنت حذام : أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت فأتت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرد نكاحها.

و فيما يخص بمسألة المهرعند الزواج فعدل الإسلام بين الرجل والمرأة كي لايقلق بالهما في هذه المناسبة الكريمة الشريفة ولم يلق عبء المسئولية على عاتق الزوج أن يظنها مثقلا باهظاً ولم يخف أو يقلل ثمن المهر أكثر من اللازم بل عني بحالهما وتراضيهما وترك الأمر في مستطاع الرجل وطاقة أدائه ولكن لم يلغ المهر قط ولو كان خاتماً من حديد أو قنطاراً من الذهب وجعله فريضة على كواهل الرجل وأصبح المهر حقاً شرعياً للزوجة لاينزعه عنها إلا ظالم. وقد أشار إلى تاكيد أداء هذه الفريضة ولوكان قليلاً جداً وقال – صلى الله عليه وسلم – : التمسْ ولو بخاتم من حديد" وقال تعالى: وآتوا النساء صدقاتهن نحلة " . (٤٦) وقد أشار في القرآن الكريم إلى كثير من المقدارمن المهروقال : وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً و إثماً مبيناً وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً. (٤٧) وأرشد الإسلام إلى أن يقوم حفل زواج على رؤس الأشهاد لا في الخفاء أووراء الكواليس وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : إعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف " (مسلم) ثم لم يترك الإسلام المؤمنين به كهذا بل قدم علاج الشقاق وسوء الظن إن نما بين هذين الزوجين بأية وسيلة كانت وقال إن تعذر الأمر فيما بينكما ولم يكن المشي مع هذا السير إمرأته وخل سبيلها ولاتضيق الخناق عليها ولاتضايقها وجعل هذا الفراق أبغض شئ من الأشياء المسموحة. وكذلك إذا شجر الخلاف بينهما وجب العمل على إزالة أسبابه ببعث حَكَمَيْن لإصلاح ذات البين : " وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق شقاق بينهما إن الله كان عليماً خبيراً " (٤٧) ونظام الإسلام نظام قوي جداً لايمكن التسلل والتدخل فيه ولذا نجد أن الطلاق لم يجز إلا بعد

أن تفشل كل مساعي الصلح بين الزوجين وقال : وإن إمرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلاجناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير....." (٤٨) وقال في موضع آخر : " وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيماً " (٤٩) وإذا فشلت وأخفقت وسائل اللين يجيئ دورالطلاق وقال صلى الله عليه وسلم : أبغض الحلال إلى الله الطلاق " وهذا الحق أعطى للمرأة باسم " الخلع" كما مُنح للرجل باسم " الطلاّق" . وهذا العمل يعد من المساواة والعدل والتوازن الراجح.

وحض الإسلام بنوع خاص على حسن معاملة الزوجة وعلى الرفق بها والحنوعليها : فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف" (٥٠) أي أن الشفقة واجبة حتى بالمطلقة ورد أن العطف على الزوجة واجب على الرجل حتى ولوكان لايحب زوجـــــــته : وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً " (٥١) والمعاملة الطيبة للزوجة دليل على نيل الرجل وفضله كما جاء في الحديث : " خياركم خياركم لنسائهم " و " خيركم خيركم لأهله " وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – في خطبة حجة الوداع : " اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله " هذه هي الدرر الثمينة الغالية التي تتلألأ في النظام الإسلامي وتلمح في إرشاد الناس جميعاً إلى الرشد والصواب وتحب أن يوقظهم من رقادهم العميق وأن ينفضوا غبار كسلهم ويحاولوا في إعطاء الحقوق إلى اصحابها وإرجاع العدل إلى نصابه.

الفصل الثالث

وظيفة المرأة الأساسية

خلق الله تعالى المرأة لتكون زوجة وأما وبنتاً ولهذا فهي شديدة الحنين لما خلقها الله تعالى له والوظيفة الملائمة لطبيعتها وتكوينها وفطرتها ومشاعرها هي وظيفة الزوجة والأم والبنت وهذه الوظيفة تؤديها في البيت فهي قوامة عليه المدبرة لشئونه وأموره وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عنه "، فالبيت مملكتها الصغيرة التي توفر فيه لزوجها الجو الهادئ السعيد الذي يريحه مما يلاقيه من أتعاب خارج البيت كما تربي فيه أولادها وتنشئهم على كل خلق جميل في جو من حنان الأمومة وعطفها ورقتها ووظيفة المرأة هذه مهمة وخطيرة من أجل ذلك لم يفرض عليها الإسلام شيئاً خارج البيت كفرضه على الرجل ليوفر لها الوقت الكافي لأداء مهمتها في البيت فلم يفرض عليها صلاة الجماعة والجمعة في المساجد ولاالقتال في الجهاد كما أن الإسلام لايحب لها الخروج من بيتها بلاحاجة وغرض معقول لئلا تفوتها فرص القيام على شئون البيت فقال تعالى : وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى " . (٥٢) وليس فيما ذكر في السطور المتقدمة حجر على المرأة أو تضييق على عليها وإنما هو وضعها في الموضع الكريم الملائم لها ويمكنها من أداء رسالتها المهمة في الحياة وهي تنشئة أولادصالحين يستفيد منهم المجتمع لأن عمل تنشئة الأولاد عمل مهم جداً لايمكن لأي صاحب عقل سليم أن ينكرأهمية هذا العمل، أما المسألة المثيرة جداً في هذه الأيام فهي هل تنشئة الأولاد ورعايتها وتربيتها مسئولية للمرأة فقط؟ وهل المرأة ماكينة توليد الأولاد فقط ؟ مثل هذه الأسئلة المفتورة قد قدمت من قبل الناس الذين لايعرفون حقيقة حياة الرجل والمرأة لأن الله خلق المرأة ووضع فيها صلاحية توليد الأولاد وجعلها عطوفاً وشفوقاً وحناناً أكثر من الرجل وكذلك خلق الرجل ووضع فيه صلاحية تحمل الأعمال الشاقة وألقى على عاتقه مسئولية الكسب والرزق لأولاده وزوجه ، وجعل المرأة متأثرة ومنفعلة مع أنه جعل الرجل مؤثراً وفاعلاً ، وجميع الأشياء في هذا الكون تمشي على نفس القاعدة المتينة لأن واحداً منها يؤثر والآخر يتأثرو إن كل منها تريد أن تؤثر ولاتتأثر وأن يفعل ولاينفعل لايسرى هذا النظام بهدوء وسكون وطمانينة بل يكون هناك خراب ودمار

ويختلط الحابل بالنابل ويمتزج الخيربالشر وتسود الأنانية والإباء والغيرة والحمية الفاسدة في المجتمع كما لايمكن أن يعيش أسدان في غابة واحدة على مكانة الرئاسة ، وكذلك إن قويت الدول العالمية كلها في مستوى واحد لاتنحني واحدة منها أمام الأخرى ماذا تظن أن يكون هناك في العالم ؟ الحروب الدامية والدمار الشامل والخراب القاتل والفتن المبيدة للإنسانية ولكن الله جعل المرأة ضعيفة ولطيفة وناعمة لاتطيق أن تتحمل الأعمالَ الشاقة التي تتعبها في أقل وقت وجعل الرجل قوياً وشديداً وصلباً ويمكنه أن يتحمل الأعمال الشاقة وهو لايَتْعَبُ في أقل وقت وليس معنى هذا المرأة ذليلة ومقهورة أمام الرجل بل هذه هي الأعمال والوظائف التي تناسب كلا منهما من حيث الطبيعة والجبلة والخلقة التي خلقهما الله عليها.

ما المراد بالقوامـــة ؟

إن الأسرة هي المؤسسة الأولى في الحياة الإنسانية. الأولى من ناحية أنها نقطة البدء التي تؤثر في كل مراحل الطريق. والأولى من ناحية الأهمية لأنها تزاول إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني وهو أكرم عناصر هذا الكون في التصورالإسلامي . مع أن هناك مؤسسات أخرى ولكنها أقل شأناً وأرخص سعراً فأولى أن تتبع هذه القاعدة كالمؤسسة المالية والمؤسسة الصناعية والمؤسسة التجارية وما إليها لا يؤكل أمرها عادة إلا لأكفاء المرشحين لها ممن تخصصوا في هذا الفرع علمياً ودربوا عليها عملياً فوق ما وهبوا من استعدادات طبيعية فوق ما وهبوا من استعدادات طبيعية للإدارة والقوامة إذا كان هذا هو الشأن في المؤسسات الأقل شأناً والأرخص سعراً فأولى أن تتبع هذه القاعدة في مؤسسة الأسرة التي تنشئ أثمن عناصر الكون أي العنصر الإنساني.

والمسلم به ابتداء أن الرجل والمرأة كلاهما من خلق الله وأن الله لايريد أن يظلم أحداً من خلقه وهو يهيئه ويعده لوظيفة خاصة ويمنحه الاستعدادات اللازمة لإحسان هذه الوظيفة. وجعل من وظائف المرأة أن تحمل وتضع وترضع وتكفل ثمرة الاتصال

بينها وبين الرجل وهي وظائف ضخمة أولاً وخطيراً ثانياً وليست هينة ولايسيرة بحيث تؤدّى بدون إعـداد عضوي ونفسي وعقلي عميق غائر في كيان الأنثى.

وكان عدلاً كذلك أن ينوط بالشطر الثاني – الرجـل – توفير الحاجات الضرورية وتوفير الحماية للأنثى كي تتفرغ لوظيفتها الخطيرة ولايحمل عليها أن تحمل وتضع وترضع وتكفل ثم تعمل وتكد وتسهر لحماية نفسها وطفلها في آن واحد. وكان عدلاً كذلك أن يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي وما يعينها على أداء وظيفتها تلك.

ومن ثم زودت المرأة فيما زودت به من الخصائص بالرقة والعطف وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة بغير وعي ولاسابق تفكير لأن الضرورات الانسانية العميقة كلها لم تترك الأرجحة الوعي والتفكير وبطئه بل جعلت الاستجابة لها غير إرادية لتسهيل تلبيتها فوراً وفيما يشبه أن يكون قسراً ولكنه قسر داخلي غير مفروض من الخارج، وهذه الخصائص ليست سطحية بل هي غائرة في التكوين العضوي والعصبي والعقلي والنفسي للمرأة بل يقول كبار العلماء المتخصصين إنها غائرة في تكوين كل خلية لأنها عميقة في تكوين الخلية الأولى التي يكون من انقسامها وتكاثرها الحنين بكل هذه الخصائص الأساسية.

وزود الله الرجل بالخشونة والصلابة بطء الانفعال والاستجابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة لأن وظائفه كلها من أول الصيد الذي كان يمارسه في أول عهده بالحياة إلى القتال الذي يمارسه دائماً لحماية الزوج والأطفال إلى تدبير المعاش وإلى سائر تكاليفه في الحياة لأن وظائفها كلها تحتاج إلى قدر من التروي قبل الإقدام وإعمال الفكر والبطء في الاستجابة يوم عام وكلها عميقة في تكوينه عمق خصائص المرأة في تكوينها.

هذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة وأفضل في مجالها كما أن تكليفه بالإنفاق يجعله بدوره أولى بالقوامة لأن تدبير المعاش للمؤسسة ومن فيها داخل في هذه القوامة والإشراف على تصريف المال فيها أقرب إلى طبيعته ووظيفته فيها. وهذان

العنصران هما اللذان قد أبرزهما النص القرآني وهو يقرر قوامة الرجل على النساء في المجتمع الإسلامي . قوامة لها أسبابها من التكوين والاستعداد ولها أسبابها من توزيع الوظائف ولاختصاصات ولها أسبابها من العدالة ، لأن المؤسسة لاتسير بلا قوامة.

زبدة الكلام عن القوامة

فهذه كلها بعض الدلائل التي تشير بها الفطرة إلى وجودها وتحكمها ووجود قوانينها المتحكمـــــة في بني الإنسان حتى وهـــم ينكرونها. وإن هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولافي المجتمع الإنساني ولا إلغاء وضعها المدني وإنما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة وصيانتها وحمايتها ووجود القيم في مؤسسة ما لا يلغي وجود ولاشخصية ولاحقوق الشركاء فيها والعاملين في وظائفها فقد حدد الإسلام في مواضع أخرى صفة قوامة الرجل وما يصاحبها من عطف ورعاية، وصيانة وحماية ، وتكاليف في نفسه وما له وآداب في سلوكه مع زوجه وعياله. (٥٣)

المرأة والعمل

لاشك في أن في إنصراف المرأة إلى بيتها سعادة ما بعدها سعادة وفي هجرها البيت شقاوة لها وإضاعة لأولادها وخسارة فادحة للمجتمع. وخروج المـــرأة من البيت بغير ضرورة ملحة أو حاجة لا تفتقر إليها قد أتى بفادح الخطوب والمحن وسبب لها الشقاء-والعذاب الممزوج بدءها الدنيا ومكرها الخلاب وإنذار الآخرة وتهديدها ولذلك أنها وقعت في شبكة متينة وممدودة لم يكن لها الخلاص منها بسهولة ، والآن أنها بدأت تتوجع وتتألم وتئن فيها كما يئن السمك بعد وقوعه في الفخ الموصل إلى قـــدر الطـــاهي وصحافها. أما الآن لم يكن موالياً ولامناصراً ولا معاونا إلا العودة إلى سكنها واللجوء إلى قرب جدران بيتها الكريم وحدودها المحدودة وتعمل عملها وتقوم بواجباتها المهمة التي من أشراف أعمال الدنيا ومهامها وواجباتها وعليها أن تقف عند هذا الحد الذي تمر به وتسأل نفسهـــا عن حيثيتها ومكانتها المرموقة وحدودها الحصينة المرصوصة التي تقبتها وشقتها وحطمتها وهشّمتها وصارت هـــــذه الحدود المسكينة كومة وركاما وكتلة وبسبب هذا التجاوز العمياء أنها تململ في حرب النعرات الوهاجة ولظى نارها.

ويرى الإسلام أن الواجب الأول والأهم للمرأة وهو البيت والإشراف على إعداد الصغار الزغب وهي أشرف وظيفة تقوم بها المرأة ويعجز عنها كل أحد سواها. لكن الإسلام إلى جانب ذلك سمح للمرأة بالعمل بما يتناسب مع طبيعتها ولايصرفها ويحول دون القيام بواجباً المقدس في تربية الأطفال رعاية شئون البيت.

فإذا لم تجد مثلاً من يعولها من أب أو أقارب أو زوج ولم تقم الدولة بضمان معيشتها فإنه من حقها أن تعمل لتكسب وتعيش لكن مع ضمان كرامتها ومعيشتها ينبغي أن تنصرف إلى إعداد نفسها لتصبح سيدة بيت أو لتباشر هذه السيادة أن كانت متزوجة.

وقد تتصور المرأة أن العمل والكسب يجلب لها الكرامة وبدونه فهي عالة لا كرامة لها فهذا وهم وهوس لا أساس لهما ففي كل مجتمع فئات منه تمنع من العمل كالمؤظفين وأفراد القوات المسلحة لايسمح لهم بأي عمل تجاري أوغيره خارج حدود

وظيفتهم . والمرأة مثلهم لها وظيفة في بيت أبيها أو بيت زوجها وهي تجاه ذلك تستحق النفقة كما يستحق المؤظف راتبه من الدولة ومع ذلك فهناك أعمال معينة يمكن أن تمارسها النساء كطبابة النساء وتعليمهن والعمل في دور الحضانة والخياطة وما أشبهها.

أما مزاحمة المرأة للرجل في جميع الأعمال تاركة بيتها وتربية أولادها فذلك أمرخطير يعود على الأمة بأفدح الخسائركما يعود على المرأة نفسها بالشقاء والنكد لأنه لا أحد يستطيع أن يقوم مقامها في البيت خصوصاً في تربية الصغار وهي مهمة كبيرة جداً دونها كل وظيفة أو عمل كما أنه مشرف لا يدانيه شرف أن تكون المرأة أماً تمنح أبناءها الحنان والعطف وترعاهم وتربيتهم وتعدهم للمستقبل وتعيين الزوج وتواسيه في مصاعبه وإن هذه المهمة لتستغرق وقت المرأة إن لم يكن كله فجله فلتصرف الباقي في عمل الخير. ولاشك أن المرأة التي خرجت من دارها قامت بالأعمال الخارجية مع الرجال التي ليست وظيفتها ولاتندم شيئاً ولا تكره هذه الأعمال بل تقوم معهم بهذه الأعمال بالفرح والسرور كأنها خرجت من حيطان بيوتها وقوضت دعائم بيتها، وعمل المرأة خارج البيت خاصة في المحلات العامة يزيد المشكلة تعقيداً إن يعيش الطفل في فراغ بسبب فقده أمه طول اليوم واضطرب اضطراباً ، وأما الخلوة مع الرجل الأجنبي فلايجوز في الإسلام إلا أن يكون زوجها معها يروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار : يارسول الله ! أفرأيت الحمو ؟ قال: الحمو الموت . (٥٤) وقال في حديث آخر : ولايخلون رجل بإمرأة إلا ومعها ذومحرم.(٥٥)

وقد وسع الشيخ قاسم أمين مجالات وظائف المرأة فالمرأة عنده ليست خاصة بالنتاج فقط، بل أنها حرة تعمل مثلما يعمل الرجل كتفاً لكتف ولا بد لها من أن تشارك الرجال في جميع الأعمال الخارجية بدون أي كراهة وذلك لأنها تستطيع أن تعمل وتصلح العمل والرجال احتاجوا إلى النساء في جميع الأمور والقيام بشئون الحياة الخاصة والعامة" (٥٦) هذا هو رأي الشيخ قاسم أمين يعارض القرآن والسنة النبوية لأن المرأة خلقت لوظيفة معينة من حيث طبيعتها وفطرتها لأسباب عدة :

١. أنه قال " المرأة ليست بخاصة بالنتاج فقط" هذا قول باطل وضعيف جداً لأن الله خلقها على صفة الانتاج والتوليد لأنه جعلها أهلاً لهذه الوظيفة وهي أساس في مسئلة المرأة ولم يكن لنا أن نعارض القدرة الإلهية التي خلقتها للانتاج والتوليد كما أشار إلى هذه الحقيقة القرآن وقال : ولله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكورأو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير" (سورة الشورى ، الآية : ٤٩-٥٠) ويظهر من هذه الآية أن الذرية مظهر من مظاهر المنح والمنع والعطاء والحرمان وهي قريبة من نفس الإنسان والنفس شديدة الحساسية بها ثم فصل الله تعالى حالات العطاء والحرمان : فهو" يهب لمن يشاء إناثاً " وهم كارهون الإناث " "ويهب لمن يشاء الذكور " و يهب لمن يشاء ازواجاً من هؤلاء وهؤلاء ويحرم من يشاء فيجعله عقيماً يكرهه كل الناس ، وكل هذه الأحوال خاضعة لمشيئة الله لايتدخل فيه أحد سواه .

٢. أنه قال: يجب على المرأة أن تعمل كل عمل يعمله الرجل كتفا بكتف " هل فكرنا من أين أخذ هذا الشيخ هذا الوجوب ومن نحن أن نوجب شيئاً على أي أحد من الناس؟ هذه زلة خطيرة تفسد المجتمع والحضارة إن دبتها وسرتها.

٣. وذلك لأنها تستطيع أن تعمل وتصلح العمل " وهذا أيضاً خطأ لأن هناك كثيراً من الأشياء التي هي في استطاع الناس ولا يعني أنهم يجب عليهم أن يأتوا بها ولكن يجب علينا أن نوجه أنفسنا ما هي مسئولياتنا الأساسية والأصلية. لاشك في أن الإسلام وسع نطاق عمل المرأة ودائرة حياتها ولكن لم يجزلها أن تترك مهمتها الأولى وهي تنشئة الجيل وتهذيب أخلاقه وتثقيفه ، وهذا عمل مهم ووظيفة مهمة جداً لأنها تساهم بهذه العملية الكبيرة في مصنع الحياة الدنيوية والأخروية.

المرأة والتعليم

الإسلام حريص كل الحـــرص على الحصول على العـلم والمعرفة ولذا أنه بدأ أول الوحي بكلمــة " أقرأ " وقال لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إقرأ باسم ربك الذي خلق " (٥٧) هذه الآية تشير إلى أهمية العلم ، وجاء في الحديث : طلب العلم فريضة على كل مسلم " (٥٨) وهو يشمل الذكر والأنثى كما هو معروف.

طلب العلم محمود ومطلوب للمرأة والرجل على حد سواء وكانت النساء في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – يتعلمن أمور الإسلام وشرائعه وأحكامه كما يتعلمها الرجال حتى أن النبي – صلى الله عليه وسلم – جعل لهن موعداً معيناً يحضرن فيه للتعليم وكانت أزواج النبي لاسيما السيدة عائشة أم المؤمنين أوعية علم يتعلم منهن الرجال الفقه والسنة النبوية المطهرة ومن هذه السوابق يجب على المرأة أن تتعلم أمور دينها وهي مكلفة به شرعاً . أما ما عدا ذلك من العلوم الدنيوية الصرفة فلا بأس بتعليمها إذا شاءت ولكن ينبغي أن تتعلم من هذه العلوم ما يلائمها كزوجة في المستقبل وكأم في المستقبل فالحياة تخصص ويجب أن ينصرف كل إنسان إلى ما تخصص فيه ويستزيد من معرفة اختصاصه والمرأة متخصصة بفطرتها إلى تربية الأولاد والقيام على البيت فلتتعلم أولا ما يبصرها أمور اختصاصها أو ما له علاقة به أي تتعلم ما يجعلها زوجة صالحة وأما صالحة قادرة على أداء رسالتها في الحياة . وإذا كانت المرأة بعد ذلك تحس بالرغبة لتعلم المزيد من المعرفة والعلوم فلا مانع من ذلك بشرط أن تتلقى العلم بالطريقة الشريفة أي مع المحافظة على ما يجب أن تلتزم به المرأة حسب الحدود الشرعية فلا تختلط مع الرجال بحجة طلب العلم ولا تتكشف أمامهم ولا تظهر بلباس لا يقره الشرع فإن طلب العلم لايقتضي مثل هذه المخالفات الشرعية وعلى الدولة أن تهيئ المجال الشرعي والكيفية الشرعية لتعلم النساء. (٥٨)

وهناك بعض أموريجب التزامها في حياة المرأة التعليمية:

أولاً: مراعاة قاعـــدة عدم الاختلاط خصوصاً في سن المراهقة فما فوق.

ثانياً: اسناد تعليم النساء للنســـاء وتعليم الرجـــال للرجال ما أمكن.

ثالثاً: مراعاة أدب الحشمة والشرف والوقار بكل معنى الكلمة لاسيما في اللباس.

رابعاً: إشراف مراحل التعليم كلها بروح العقيدة الدينية الصحيحة بحيث يكون النشئ من الذين إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون.

وهنا نعترض على الذين يدعون أن مثل ما قررناه من محاولة الحيلولة بين المراهقين وبين الانطلاق الجنسي يحدث عقداً نفسية رضينة ويحدث إيقاعاً لأولئك النشئ في شبكة التناقضات . نعترض على هولاء بأن ما يقولونه غير مسلم به إطلاقا وعلى فرض صحة إدعائهم فإن هذا الخطر لايعد شيئاً ضئيلاً بالنسبة إلى الحظر الذي يؤدي إليه التحرر الجنسي المطلق وإذ ذاك تكون إدارة التعليم قد عملت على تربية جدية عملية حاملة لبذور التمكن والانتصار وتكون أيضاً قد أنقذت كثيراً من الفتيان والفتيات من الارتباك والعقد النفسية التي تحطمهم وتشقيهم مدى الحياة بسبب الاختلاط واللامبالات وفي الميدان الاجتماعي يجب محاربة كل ما يؤدي إلى تهيج الغريزة وإثارتها من المراقص والملاهي ونحوها يجب تشديد المراقبة الأدبية في الأنهج والطرقات وتعطيل الشواطئ والشطوط من لحوم البحر على حد قول المرحوم مصطفى صادق الرافعي ومن الأسماك البشرية المتلاطمة المتريئة لأن تتنبطق عليها الشباك الحكمة.

ولقد حملت إلينا المدنية الغربية من الثمار ما فيه اللذة والغذاء كما حملت إلينا من مسكها وأشواكها ما يعجل بالعطب والردى إلا فما العلاقة بين بروز الفتيات في الشوارع والقاعات شبه عاريات وبين التطور الفكري والتقدم البشري إلاأن يكون إشباع الغزائر السفلى والعودة إلى الأطوار البشرية الأولى تقدما وتطورا.

ليت شعري هل نستطيع يوماً أن نبرز للعالم حضارة خاصة بنا تحتوي على كثير من الثمار وعلى أقل قليل من الأشواك ؟ أما نحن فنعتقد أن ذلك ممكن بل قريب جداً بالنسبة إلى ما ورثناه من تقاليدنا الإسلامية الصحيحة اللهم إلا إذا لم نستطع التخلص والتملص من تقليد الأوضاع الغربية وتقديسها ثم إن الواجب يقضي علينا أن نحارب البغاء نوعيه : السري والعلني. وأن نشجع الناشئة على الزواج ونحملهم عليه بكل وسيلة ممكنة ثم إننا نلاحظ مع ما تقدم كله إنه إنما يتحتم علينا تخفيف الشر والفساد وإضعافهما لإستئصالهما وقطع جراثمتهما من الأمة .

وإذا اشتغلت المرأة بتعليم النساء فليس مباحاً فحسب وإنما هو ضرورة لاغنى عنها لمجتمع إسلامي:

١- فازواج الرسول – صلى الله عليه وسلم – كن معلمات لبنات جنسهن.

٢- والشفاء بنت عبدالله المهاجرة القرشية عملت مدرسة وعملت حفصة بنت عمر أم المؤمنين الكتابة والقراءة.

٣- وهناك من أبواب العلم ما يفضل الدين أن تتصدى المرأة إذ علمها وعلى حياء المرأة إذ تعلمت منه كدراسة أعضاء المرأة وأمراضها وغير ذلك مما يؤهل لطب النساء فالرسول صلى الله عليه وسلم – استحى أن يعلم إمرأة كيف تتطهر من الحيض! استحى أن يقول لها تتبعي أثر الدم ! ووكل ذلك إلى زوجته عائشة أفلا يمنع الحياء أستاذ الطب أن يعلم تلميذاته طبيعة جسم الأنثى ؟ أفلا يحق للمرأة أن تعلم بنات جنسها مثل هذه العلوم كما كانت تعلم عائشة بنات جنسها أحكام الطهارة.

٤- ثم كيف نامن الرجال على البنات يعلمونهن وقد يضطرهم العلم إلى الخلوة بالأستاذ في حجرته يسألنه ما أشكل عليهن ومازالت تطن في آذاننا أخبار الفضائح الجنسية التي جاءت ثمرة اختلاط الأستاذ بتلميذاته وخلوته بهن أليس خيراً للنساء أن يأخذن العلم على بنات جنسهن واشتغال المرأة بطب النساء

كإشتغالها بالتعليم تماماً ليس مباحاً فحسب وإنما هو ضرورة ملحة لا غنى عنها لمجتمع إسلامي.

١- فنساء الصحابة كن يداوين الجرحى ويضمدن الجراح.

٢- والرسول الذي يكل لإمرأته تعليم النساء يكل للمرأة من غير شك طب النساء فليس يحـــــل للرجل أن ينظر إلى عورة إمرأة يداويها ما دامت هناك طبيبات إنما أبحنا للرجال طب النساء لما نجد من فقـــــــر إلى الطبيبات فاشتغال الرجل بطب النساء محظور إباحته ضرورة كمثل لحم الخنزير يباح أكله عند خشية الهلاك من الجوع فإذا كان ثمة لحم حلال في مكان ما فهـــــل يعقد الإنسان في مكانه ويأكل الحرام أم يسعى إلى اللحم الحلال ويقطع السبيل إليه كذلك طب النساء يحرم اشتغال الرجال به وتحله ضرورة الحاجة إليهم فإذا كان في الإمكان إعداد الطبيبات وليس هذا بعسير فهل نعقد عن هذه الغاية ونكل طب النساء طب النساء إلى الرجال. (٥٩)

الحجاب باب حصن حصين بين الطهر والرجس

هذه هي الحقيقة أن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لاتهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولايرتوي والنظرة الخائنة والحركة المثيرة والزينة المتبرجة والجسم العاري كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون ! وإلا أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة فأما الإفضاء الفوضوي الذي لايتقيد بقيد وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة ! وهي تكاد أن تكون عملية تعذيب ! وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الإستثارة وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً وبقوته الطبيعية دون استثارة مصطنعة وتصريفه في موضعه المأمون النظيف.

ولقد شاع في وقت من الأوقات أن النظرة المباحة والحديث الطليق والاختلاط الميسور والدعاية المرحة بين الجنسين والإطلاع على مواضع الفتنة المخبوءة شاع أن كل هذا تتنفس وتنفيس وترويح واطلاق للرغبات الحبية ووقاية من الكتب ومن العقد النفسية وتخفيف من حدة الضغط الجنسي وما وراءه من اندفاع غير مأمون . وقد شاع على إثر انتشار بعض النظريات المادية القائمة على تجريد الإنسان من خصائصه التي تفرقه من الحيوان والرجوع به إلى القاعدة الحيوانية الغارقة في الطين ولكن هذا لم يكن سوى فروض نظرية رأيت بعيني في أشد البلاء إباحته وتغلتا من جميع القيود الاجتماعية والأخلاقية والدينية والانسانية ما يكذبها وينقضها من الأساس. نعم هناك البلاد التي ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدي والاحتلاط الجنسي بكل صوره وأشكاله أن هذا كله لم ينته بتهذيب الدوافع الجنسية وترويضها إنما انتهى إلى سعار مجون لايرتوي ولايهدأ إلا ريثما يعود إلى الظمأ والاندفاع وكذلك شوهدت الأمراض النفسية والعقد التي كان مفهوماً أنها لا تنشأ إلا من الحرمان بكل أنواعه وإلا من التلهف على الجنس الآخر المحجوب بوفرة ومعها الشذوذ الجنسي بكل أنواعه ثمرة مباشرة

للاختلاط الكامل الذي لا يقيده قيد ولايقف عند حد وللصداقات بين الجنسيين تلك التي يباح معها كل شئ وللأجسام العارية في الطريق وللحركات المثيرة والنظريات الجاهزة واللفتات الموقظة.

وبعد منع الدخول بغير إذن وحصن الباب أشار إلى سكان البيت أن تحفظـــوا أنفسكم من الرجس والدنس خارج البيت. وقـــال : " وليضربن بخمـــــــرهن على جيوبهنّ " والجيب فتحة الصدور في الثوب . والخمار غطاء الرأس والنحر والصدر. ليداري مفاتنهن فلايعرضها للعيون الجائعة ولا حتى لنظرة الفجاءة التي يتقي المتقون أن يطيلوا أو يعاودوها ولكنها قد تترك كميناً في أطوائهم بعد وقوعها على تلك المفاتن لوتركت مكشوفة. وكذلك يصنع الإسلام اليوم في صفوف المؤمنات على الرغم من هبوط الذوق وغلبة الطابع الحيواني عليه والجنوح به إلى التكشف والعري وتتنري كما تتزي البهيمة ! فإذا هن يحجبن مفاتن أجسامهن طائعات في مجتمع يكتشف ويتبرج وتهتف الأنثى فيه للذكور حيثما كانت هتاف الحيوان للحيوان! هذا التحشم وسيلة من الوسائل الوقائية للفرد والجماعة ومن ثم يبيح القرآن تركه عندما يأمن الفتنة فيستثنى المحارم الذين لاتتوجه ميولهم عادة ولاتثور شهواتهم.

وعلم الإسلام هذه البشرية خاصة التي تؤمن بهذه الشريعة البيضاء السير وأسلوب المشئ وقال تعالي: " ولايضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن" وإنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها أو حليها أكثر مما تثيرها رؤية جسد المرأة ذاته كما أن كثيرين يثيرهم طيف المرأة يخطر في خيالهم أكثر مما يثيرهم شخص المرأة بين أيديهم وسماع وسوسة الحلي أو شمام شذي العطر من بعيد قد يثير حواس رجال كثيرين ويهيج أعصابهم ويفتنهم فتنة جارفة لا يملكون لها رداً والقرآن يأخذ الطريق على هذا كله لأن منزله هو الذي خلق وهو الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. " (٦٠)

وردع القرآن النساء المؤمنات والمسلمات ناهياً عن جروج البيت بغير ضرورة ملحة وقال " ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى " ولقد كانت المرأة في الجاهلية تتبرج ولكن جميع الصور التي تروى عن تبرج الجاهلية الأولى تبدو ساذجة أو محتشمة حين تقاس إلى تبرج أيامنا هذه في جاهليتنا الحاضرة.

قال مجاهد : كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال. فذلك تبرج الجاهلية.

وقال قتادة : وكانت لهن مشية تكسر وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك .

وقال مقاتل بن حيان : التبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولاتشده فيداري قلائده وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج!

وقال أبن كثير : كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لايواريه شئ وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن هذه هي صورة التبرج في الجاهلية التي عالجها القرآن الكريم ليطهر المجتمع الإسلامي من آثارها ويبعد عنه عوامل الفتنة ودواعي الغواية ويرفع آدابه وتصوراته ومشاعره وذوقه كذلك. فالذوق الإنساني الذي يعجب بمفاتن الجسد العاري ذوق بدائي غليظ وهو من غير شك أحط من الذوق الذي يعجب بجمال الحشمة الهادئ وما يشيئ به من جمال الروح وجمال العفة وجمال المشاعر وهذا المقياس لا يخطئ في معرفة ارتفاع المستوى الإنساني وتقدمه فما الحشمة جميلة جمال حقيقياً رفيعاً ولكن هذا الجمال الراقي لا يدركه أصحاب الذوق الجاهلي الغليظ الذي لا يرى إلا جمال اللحم العاري ولا يسمح الإهتاف اللحم الجاهر.

ولتيسير النص القرآني إلى تبرج الجاهلية فيوحي بأن هذا التبرج من مخلفات الجاهلية التي يرتفع عنها من تجاوز عصر الجاهلية وارتفعت تصوراته ومشاعره عن تصورات الجاهلية ومثلها ومشاعرها والجاهلية ليست فترة معينة من الزمان إنما هي حالة اجتماعية معينة ذات تصورات معنية. ويمكن أن توجد هذه الحالة وأن يوجد هذا التصور في أي زمان وفي أي مكان فيكون دليلاً على الجاهلية حيث كان، وبهذا المقياس أننا نعيش الآن في فترة جاهلية عمياء غليظة الحس حيوانية التصور هابطة في

درك البشرية إلى حضيض مهين وندرك أنه لا طهارة ولازكوة ولابركة في مجتمع يحيا هذه الحياة ولايأخذ بوسائل الطهر والنظافة التي جعلها الله سبيل البشرية إلى الطهر من الرجس والتخلص من الجاهلية الأولى وأخذبها أول من أخذ أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إلى تلك الوسائل ثم يربط قلوبهن بالله ويرفع أبصارهن إلى الأفق الوضيئ الذي يستمدون من النور والعون على التدرج في مراقي ذلك الأفق الوضيئ.

خلاصة القول : المرأة غزيت وكدر عليها صفو حياتها بسبب فضول المغرضين وحماقات الجاهلين وشهوات المبطلين ويقف مع هؤلاء عشاق الشهرة وقاموا بكتابة الصفحات الملونة بعبارات براقة معه ولكنها خالية من معاني الفضيلة كما نرى اليوم كثيراً منهم الذين يسمون أنفسهم دعاة تحرير المرأة أو تطويرها ويتشدقون بأنهم أنصار المرأة تتلخص مطالبهم في اثنين :

١- نزع الحجاب

٢- العمل مع الرجال ولو كان بغير ضرورة.

وهم يريدون أن يثبتوا أن الحجاب ظاهرة ثقيلة كئيبة في حياة الأمة وأنا أتفق مع هؤلاء الكتاب البارعين الجاهلين من حقيقة الحال على أن الثقل والكآبة تكون على من يشعر أن تعاليم الإسلام وتشريعاته عائق عن أشباع الشهوات وعثرة في طريق المتعة بلا حدود كمتعة الحيوانات البرية والبحرية ولا حدود لها في سبيل المتعة.

أما النفوس المؤمنة والفطرة السليمة والقلوب الحية فإنها ترى أن آداب الإسلام ومنها الحجاب عز وشرف وتكريم للرجل والمرأة. وغريب أمر أولئك القوم فالمرأة الفاضلة مصطلح مقلوب لديهم فالتي تخرج من البيت و تخالط الرجال فهي المرأة العاملة وهي المنتجة ولذلك فهي الفضيلة. أما المربية لأبنائها والعاملة في بيتها والتي لا تخالط الرجال الأجانب والمنتجة في إعداد جيل المستقبل غير فاضلة. ولذلك وبناء على هذه النظرية فالفاضلة عندهم هي التي يتنافس عليها المتنافسون ولاأدرى أي متنافسين يقصد؟ وغير الفاضلة لديهم هي التي اقترفت ذنوباً كبيرة منها : التغطية بالسواد والاعتقال في البيت وسبب الذنوب أنها : إمرأة !

وأي جناية على الحقيقة أكبر من هذه وكيف يعد الحق باطلاً والباطل حقاً وكيف تستقيم الحال إذا أصبح التنفير من الفضيلة بهذا التعبير والدعوة إلى رفض الحشمة بهذه الجرأة . (٦١)

الهوامش

١. سورة النساء ، الآية : ١

٢. سورة النساء ، الآية : ٢

٣. سورة النساء ، الآية : ٦

٤. سورة النساء ، الآية : ٩-١٠

٥. سورة النساء ، الآية : ٣-٤

٦. سورة النساء ، الآية : ٧

٧. سورة النساء ، الآية :١٩-٢٠-٢١

٨. سورة النساء ، الآية :١٢٧

٩. سورة النساء ، الآية :٢٢-٢٤

١٠. سورة النساء ، الآية :٧

١١. سورة النساء ، الآية :١١

١٢. سورة النساء ، الآية :٣٣

١٣. سورة النساء ، الآية :١٥-١٦

١٤. سورة النساء ، الآية :٥

١٥. سورة النساء ، الآية :٣٦-٣٨

١٦. سورة الأعراف الأية : ٨٨

١٧. سورة النساء ، الآية : ١

١٨. سورة النحل الآية : ٧٢

١٩. سورة الشورى الآية : ١١

٢٠. سورة النور الآية : ٣٣

٢١. سورة الأنعام الآية : ١٥١

٢٢. سورة الإسراء الآية : ٣١

٢٣. سورة النساء ، الآية : ١٠

٢٤. سورة النساء ، الآية : ١٨

٢٥. سورة النساء ، الآية : ٢١

٢٦. سورة البقرة الآية : ٢٢٨

٢٧. سورة النساء ، الآية : ٣

٢٨. سورة النساء ، الآية : ١٩-٢٠

٢٩. سورة النساء ، الآية : ١٨

٣٠. سورة البقرة الآية : ٢٢٩

٣١. سورة النساء ، الآية : ٦

٣٢. سورة النساء ، الآية : ٣٢

٣٣. سورة النساء ، الآية : ٤

٣٤. سورة آل عمران الآية : ١٩٤

٣٥. سورة المؤمن الآية : ٤٠

٣٦. سورة آل عمران الآية : ٤١

٣٧. سورة القصص الآية : ٧

٣٨. سورة الفرقان الآية : ٤

٣٩. سورة الأعراف الآية : ١٨٩

٤٠. سورة الروم الآية : ٢١

٤١. سورة النور الآية : ٣٢

٤٢. سورة النساء ، الآية : ٢١

٤٣. سورة النساء ، الآية : ٣٣

٤٤. سورة النساء ، الآية : ٣

٤٥. سورة النساء ، الآية : ٤

٤٦. سورة النساء ، الآية : ٢٠

٤٧. سورة النساء ، الآية : ٣٥
٤٨. سورة النساء ، الآية : ١٢٨
٤٩. سورة النساء ، الآية : ١٩
٥٠. الملخص من " في ظلال القرآن"(المجلد الثاني) للسيد قطب،ص: ٦٣٨-٦٥٢
٥١. رواه الترمذي في كتاب الرضاع
٥٢. رواه البخاري في كتاب النكاح
٥٣. هل المرأة تشارك الرجال في الأعمال ، المجلة " البعث الإسلامي " العدد : ٥٣، أكتوبر – نوفمبر ٢٠٠٧م
٥٤. سورة العلق الآية : ١
٥٥. صحيح البخاري عن أنس
٥٦. الملخص من " المرأة بين نور الإسلام وظلام الجاهلية " للدكتور محمد بن سعد الشويعر ، القاهرة ، عودة الحجاب للدكتور محمد بن أحمد بن إسماعيل – الرياض ، التربية الدينية للصف الخامس الأدبي والعلمي ، للجنة في وزراة التربية بمصر .
٥٧. الملخص من كتاب " نظم العمل في الإسلام " لجمال الدين عياد ، القاهرة ، مطبعة دارالكتاب العربي، " الإسلام وتطورات العالمية " ليحى حواش ، الجزائر ، مطبعة الحزب . " الإسلام والنظام العالمي الجديد " مولانا محمد علي ، ترجمة : أحمد جود السحار ، مكتبة مصر .
٥٨. عودة الحجاب (الجزء الثاني) لمحمد أحمد إسماعيل المقدم ،الرياض
٥٩. في ظلال القرآن (المجلد الرابع) ، تفسير سورة النور
٦٠. في ظلال القرآن (المجلد الخامس)، تفسير سورة الأحزاب
٦١. المرأة بين نورالإسلام وظلام الجاهلية للدكتور محمد بن سعد الشويعر – القاهرة

السلام العالمي والإسلام لسيد قطب – القاهرة

الباب الثالث

دراســـــة مقـــــارنة

بين

المرأة الغربية والهندية

العوامل التي تؤثرمركزالمرأة في المجتمع

لاشك في أن من أهم القواعد التي يرتكزعليها بنيان حضارتنا وضعية المرأة والمركز التي تتبوأه من المجتمع وأن المرأة أحد أعصاب الحس والحركة أنها أحدالسلكين من أسلاك الكهرباء السالبة والموجبة أنها إحدى القدمين اللذين بهما تنهض الأمة وبهما تسعى لبلوغ أهدافها فميدان المرأة من أوسع الميادين وأشوكها والخائض فيه كالخائض في بحر من الظلام أنه ميدان تنزل فيه الأقدام وتطيش فيه الأحلام وتكثرفيه الأوهام فهل نستطيع نحن أن نخوضه ونخرج منه بسلام ؟

وأنها كائن شريف أعدته القدرة الإلهية لتكثير النوع الإنساني فوظيفتها من هذه الجهة سامية جداً ولايستطيع أن يجاريها الرجل فيها بوجه من الوجوه وقد متعها الله تعالى لحسن اداء هذه الوظيفة بكل ما تحتاج إليه من الأعضاء وناسب بين تركيبها وتلك الوظيفة بحيث ترى أن كل شئ فيها يدل على أن القدرة الإلهية قصرتها عليها ولذلك ترى بين جسمها جسم الرجل من الاختلاف والتباين ما ينطق بالبداهة أنهما لم يخلقا لأن يتسابقا في مجال واحد البتة.

وطبيعي أن للمرأة دوراً حضارياً خاصاً لايمكن أن يقوم به الرجل كما أن للرجل دوراً حضارياً خاصاً لايمكن أن تقوم به المرأة هذا بقطع النظر عن كون المرأة مساوية للرجل في الحقوق والواجبات أو غير مساوية له فمن البديهي أن لكل فرد دوراً خاصاً لايمكن أن يقوم به فرد آخر. فدورالقوي القوي البنية الفارغ القامة غير دورالنحيل الجسم القصير القامة كما أن الدور الذي يسند إلى الكهل غيرالدورالذي يسند إلى الفتى ويمكن أن تقول مثل ذلك في الفنان والسياسي والعالم وغيرهم من طبقات البشر وأنواعهم ومن المسموح لنا أن نقول مثل ذلك في كل من الجنسين من الرجل والمرأة . ومتى انخرمت القاعدة وتدخل كل في دور الآخر وقع الخلل ومرجت العهود ولايختلف اثنان في هذه القاعدة ولكن الاختلاف البعيد والصراع العنيف في النقطة التي ينتهي فيها دور كل بالنسبة إلى الآخر فهذا السؤال: أين ينتهي دورالمرأة بالنسبة للرجل وأين ينتهي دورالرجل بالنسبة إلى المرأة ؟ لم يجد ولن يجد العالم الإجابة عنه إجابة

صحيحة علمية مسلم بها وهنا يجب أن نختار ونتحرى في فهم وإسناد كل من الرجل والمرأة دوره الذي يستحقه والذي أعد له .

ومن الحقيقة أن هذه النقطة هي من الأهمية بمكان بل هي في نظرنا أهم من جميع النقط التي ترتكز عليها حياتنا الحضارية لأنها نقطة تكوينية تتعلق بتكوين الأجيال الصاعدة من الجنسين وتهيئتهما ليكونا صالحين لبناء مدنية صحيحة سليمة من عوامل الانحلال طويلة العمر لم يسبق لها مثيل من قبل. ومن أفحش الأخطاء أن نقلد غيرنا في هذا الميدان ، ونضع فيه ثقة عمياء فنسلك نفس الطريق الذي سلكوه اعتقاداً منا أنهم قد نجحوا كلا وهم لم يزالوا بعد في الطريق بل أنهم في نظرنا من هذا الميدان في منزلق سحيق ماله من قرار أنهم في انزلاقهم قدغمرتهم نشوة الانزلاق ولذته حتى أنهم قد فقدوا توازنهم وأنهم من الآن فصاعداً قد انفلت أمرهم من بين أيديهم وما لهم من محيص. وليس لأحد أن يظن أن غرضنا من كل ما تقدم إقامة سور متين من الإسمنت المسلح بين الرجل والمرأة وأن كل دور تقوم به المرأة يحرم على الرجل القيام به وكل دور يقوم به الرجل يحرم على المرأة القيام به كلاً فإننا نعتقد أن معظم ما يمكن أن يقوم به واحد منهما يمكن أن يقوم به الآخر مثله أو أحسن منه بل نود أن نقيم بنيان حضارتنا على أسس جديدة من الفضيلة . ومن أهم فروع الثقافة وأمسها بنا وبتطور مستقبلنا الحضاري تحديد العلاقة بين الرجل والمرأة وإذ قد تقرر أن معظم ما يقوم به أحد الجنسين يستطيع أن يقوم به الآخرمثله أو أحسن منه فوجوب اختصاص كل منهما ببعض أعباء الحياة إنما يكون بالنظر إلى النتائج والعواقب المترتبة على مخالفة الطبيعة والتي تؤدي إلى الانحلال الطبيعي لا بالنظر إلى الاستطاعة وعدمها فإن المرأة تستطيع مثلاً أن تقود طائرة عسكرية وتلقي القنابل وتصيب الأهداف والرجل يستطيع مثلاً أن يربي طفلاً منذ الساعة الأولى من ميلاده إلى أن يبلغ أشده .

وإذا قلنا أن المرأة يجب أن لا تكلف بجميع أعباء الحياة وأن لا تشارك الرجل في جميع الواجبات فليس معنى ذلك أنها لاتستطيع أن تؤدي مايؤديه الرجل ولكن معناه المحافظة على كيان الأمة وسلامتها فإن أدنى ما ينتج من مشاركة المرأة في جميع

الواجبات وجعل الجنسين في درجة واحدة من تحمل أعباء الحياة تفكك الأسرة والانحراف التربوي وضعف عاطفة الأبوة والأمومة وتضاؤل العلاقة الزوجية وإذ ذاك يختل توازن المجتمع وتنحل عراه.

على أن الذين يدفعون المرأة إلى أن تشارك الرجل في جميع الواجبات إنما يدفعونها عن قصد أو غير قصد إلى أن تكون أثقل من الرجل عبأ إلى إبقاء الرجل ظافراً بنصيب الأسد من هذه الحياة فإن الرجل لايمكن أن يشاركها في أعباء الحمل والولادة والتربية وغير ذلك مما يعد الرجل عمله تنازلا من منزلته وحطا من كرامته مثل تدبير المنزل وتنسيقه نحن لانحارب مشاركة المرأة في الحياة العامة وبين التطور الفكري والتمدن البشري ولكن لانفهم أن هناك علاقة ما بين الانسلاخ من الفضيلة وعبادة الغريزة الجنسية السفلي وبين التطور والتمدن.

وإذا كان للمرأة الحق في أن تتعلم ماتريد وتحترف حرفة تستغنى بها عن سواها وتسير شئوونها بنفسها وتساهم في التوجيه السياسي والاقتصادي والاجتماعي للأمة فأيّ تحرر أوسع من هذا ؟ إلا أن يصبح التحرر معناه التفسخ والميوعة والانتحـــــار من المثل العليا والانجراف إلى أسفل سافلين .

وهذه الحرية المطلقة قد جعلت المرأة مادة جنسية للتلذذ فقط وجعلتها مادة لفت أنظار المارين بالدكاكين والمحلات والأسواق لكي ينتفع الناس من نعومتها وحسنها وجمالها وجسمها بعد وضعها فيها . وهم ينتفعون بالمرأة من حيث عقلها وجسمها وجمالها باسم الحرية الضارة لنفسها ، لأنهم يعلمون جيداً أن جلوس المرأة في الدكاكين والمحلات والأسواق العالمية أو غير العـــالمية فقط، تأتي بنقود كثيرة تلقائياً لأن جلوسها تلفت الأنظـــار وتجذب القلوب وفي بعض الأحيان أنها مستعدة لتصبح لقمة سائغة للقلوب المرضاء وغيرها أيضاً لأنها تكون في زي شبه العار وتكون عارضة الأزياء في طراز عجيب وتطلق الرصاص على قلوب الناظرين وتثير الغريزة الطبيعية في الناس فا لبعض منهم يحفظون فروجهم وأذهانهم من هذه الوصمة العار على جبين الأمة الإسلامية والبعض منهم يطلقون عنان رغباتهم المفرطة ويشبعونها على طريقة

غير الملائم . وهذه الحرية حرية فاسدة ظالمة قد أتت بثمار مرة وتأتي بنتائج وخيمة وستأتي بدمار شامل إن كانت الحال كذلك ، مع أن المرأة قد علمت الآن خطئها ولكنها قد أسرفت وتجاوزت الحدود التي لايمكن لها العودة منها إلى حرمتها وبيتها الهادئ ، ولاشك في أن المرأة التي تتقن دورها الذي أعدت له من العناية ببيتها وزوجها وأطفالها أنفع للمجتمع من المرأة التي تعمل في مكتب ما وقد أهملت دورها الأساسي الذي لايصلح إلا لها إلا إذا استطاعت أن تقوم بالدورين معا وبدون إهمال أي منهما وإن كانت المرأة عاملة بعملها الأساسي الملائم لها ولها فيه لذة ومتعة وسكون وهدوء وراحة بال ليس معنى ذلك أنها عبدة أو خدامة للرجل كما يظن بعض الناس أن المرأة التي تعمل في بيتها عمل البيت مثلاً تربية الأطفال وغيرها أنها عبدة هذا هراء وهذر وهذيان لا معنى له إن يقولو إنها عبدة لقيامها بالأعمال الأساسية الملائمة لها إذا يمكن أن يقول واحد أن الرجل عبد لأنه يعمل جميع الأعمال خارج البيت مثل الخادم الذي يعمل الأعمال الخارجية من البيت. وليس معنى هذا أنه عامل أو خادم أو أجير بل هذه الأعمال هي مسئولية مشتركة بين الزوج والزوجة والرجل والمرأة .

الفصل الثاني

تساوي الرجل والمرأة في الحقوق الإنسانية العامة

وغنى عن الذكر أن نقول إن الإنسان معنى به الرجل والمرأة على السواء في نظر الإسلام وأنه من البديهيات التي لاتحتاج إلى تقرير أن المرأة في عرف الإسلام كائن إنساني له روح إنسانية من نفس النوع الذي منه الرجل كما جاء في القرآن العظيم: " ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً " (١) فهي إذن الوحدة الكاملة في الأصل المنشأ والمصير والمساواة الكاملة في الكيان البشري تقرب عليها كل الحقوق المتصلة مباشرة بهذا الكيان محرمة الدم والمال والكرامة التي لايجوز أن تلتمز مواجهة أو تغتاب ولايجوز أن يتجسس عليها أو تقتحم الدور كلها حقوق مشتركة لايميز فيها بين جنس وجنس والأوامر والنواهي والتشريعات فيها عامة للجميع ، وقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزا بالألقاب " (٢) وقال تعالى : " ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضاً " (٣) . وقال تعالى: " ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غيربيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها " (٤) وكما قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – : "كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله " (٥) والجزاء في الآخرة واحدة للجنسين، وقال تعالى : "فاستجاب لهم ربهم أنى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض. " (٦) وكذلك تحقيق الكيان البشري في الأرض متاح للجنسين سواء بسواء : الأهلية للملكية والتصرف فيها بجميع أنواع التصرف من رهن و إيجار ووقف وبيع وشراء واستثمار ، وقال تعالى : "للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون " (٧) وقال أيضاً : "للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن " (٨) فمن حق المرأة أن تمتلك وأن تتصرف فيما تمتلك مختلف أنواع التصرف خلافاً لما كان عليها حال المرأة الأوربية

حتى عهد قريب فقد كان سبيلها إلى ذلك عن طريق الرجل زوجاً كان أو أباً أو ولي أمر ولكن الإسلام إياه منح المرأة قبل أن تحصل المرأة الأوربية على هذا الحق بأكثر من أثنى عشر قرناً حرية الملكية والانتفاع بشخصيتها مباشرة بلا وكالة أو وسيط. ولم يكن الإسلام بتحقيق كيان المرأة في مسألة الملكية بل حققه في أخطر المسائل المتعلقة بحياتها وهي مسئلة الزواج فلايجوز بغير إذنها ولايتم العقد حتى تعطي الإذن كما قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – : " لاتزوج الثيب حتى تستأمر ولاتزوج البكر حتى تستأذن وإذنها صماتها " (٩) ويصبح العقد باطلاً لو أعلنت أنها لم تبد موافقتها عليه بل أعطاها الإسلام أن تخطب لنفسها. وبلغ من تقدير الإسلام للمرأة ومقومات كيانها البشري في عصور غشيها الجهل والجهالة أن عد العلم والتعلم ضرورة بشرية لازمة لكل فرد فجعله فريضة وركناً من أركان الإيمان بالله على طريقة الإسلام ويحق للإسلام أن يفخر بأنه أول نظام في التاريخ نظراً إلى المرأة على أنها كائن بشري لايستكمل بدونه مقومات بشرية حتى يتعلم شأنها شان الرجل سواء بسواء فجعل العلم فريضة عليها كما هو فريضة على الرجل وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الجنة تحت أقدام الأمهات ودعاها أن ترتفع بعقلها كما ترتفع بجسدها وروحها عن مستوى الحيوان" . (١٠)

إلى هذا الحد وصل الإسلام في تكريمة للمرأة وما يستطيع أحد أن يزعم أن فكرة الإسلام في هذه الأمور قائمة على أن المرأة مخلوق ثانوي وتابع للرجل مما يهذي به بعض الغافلين أو المضللين من أن الإسلام ينتقص كرامة المرأة ويهين كبرياءها ويحطم شعورها بذاتها ويدعها في مرتبة أقرب إلى الحيوانية متاعاً حسياً للرجل وأداة للنسل وليس غير . وهي في هذا كله في موضع التابع من الرجل الذي يسيطر عليها في كل شئ ويفضلها في كل شئ و ما يردده بعض المتعصبين للإسلام بدون علم ممن يعلنون أن الإسلام قد سوى بين الجنسين في كل شئ وهؤلاء وأولئك لايعرفون حقيقة الإسلام أو يعرفونها ثم يلبسون الحق بالباطل وهم في هذا إنما يتشدقون بالمطالبة بالمساواة الكاملة مع الرجل ويتيح هذا لهم أن يبدوا في صورة المنتصرين لقضية

تقدمية يكافحون في سبيلها قياساً على ما كان للمرأة الغربية من قضية كافحت من أجلها متناسين أن الأمر يختلف تماماً بالنسبة للمرأة المسلمة ولكي يكون هذا واضحا يجدربنا أن نلم إلمامة سريعة بتاريخ المرأة في أوربا لنرى إذا كانت ظروفنا تجعل للمرأة في مجتمعنا قضية تكافح من أجلها أسوة بغيرها ؟

نصفة الإسلام للمرأة وانتصاف المرأة الأوربية لنفسها

كانت المرأة في أوربا وفي العالم كله هملاً لايحسب له حساب بل أن العلماء والفلاسفة كانوا يتجادلون في أمرها : ألها روح أم ليس لها روح ؟ وإذا كان لها روح فهل هي روح إنسانية أو حيوانية ؟ وعلى افتراض أنها ذات روح انسانية فهل وضعها الإجتماعي والإنساني بالنسبة للرجل هو وضـــــــع الرقيق أو هو شئ أرفع من الرقيق؟

وقد يذكر لنا التاريخ ان بعض النساء قد تمتعن بمركزاجتماعي مرموق في اليونان أو في الامبراطورية الرومانية ولكن ذلك لم يكن مزية للمرأة كجنس وإنما كان لنساء معدودات في العواصم بوصفهن زينة للمجالس وأدوات للترف يحرص على إبرازها زهوا وقد ظل الوضع كذلك في عهود الرق والإقطاع في أوربا والمرأة في جهالتها تدلل حيناً تدليل الترف والشهوة وتهمل حينا كالحيوانات التي تأكل وتشرب وتحمل وتلد وتعمل كالرقيق ليل نهار حتى جاءت الثورة الصناعية فكانت الكارثة التي لم تصب المرأة بشرمنها في تاريخها الطويل فقد قلبت الأوضاع كلها في الريف والمدينة على السواء إذ تحطمت روابط الأسرة وتحلل كيانها بتشغيل النساء والأطفال في المصانع واستدرج العمال من بيئتهم الزراعية القائمة على التكافل والتعاون إلى المدينة التي لايعرف فيها أحد أحداً ولايعول أحد أحداً وحيث يستقل كل إنسان بعمله ومتعته وحيث يسهل الحصول على المتعة الحرام فتهبط الرغبة في الزوج وكفالة الأسرة أو تتأخر زماناً طويلاً وكانت النتيجة أن المرأة هي التي دفعت الثمن الغالي من

جهدها وكرامتها وحاجاتها النفسية والمادية إذ نكل الرجل عن إعالتها من ناحية وفرض عليها أن تعمل لإعالة نفسها حتى ولوكانت زوجة أو أماً واستغلتها المصانع أسوأ استغلال من ناحية أخرى فشغلتها ساعات طويلة وأعطتها أجراً أقل من الرجل الذي يقوم معها بنفس العمل في نفس الموقع وقد استقر تشغيل الأطفال في المصانع النفوس الحية التي لاتطيق مثل هذا الظلم فهبت تدافع عن المستضعفين من الولدان وتندد بتشغيلهم في سن مبكرة وإرهاقهم بما لايطيقون وبضآلة أجورهم بالنسبة للجهد العنيف الذي يبذلونه ، وقد نجحت هذه الحملات وأسفرت عن رفع سن التشغيل والأجور وتخفيض ساعات العمل ولم تحظ بنصير كالأطفال حتى جاءت الحرب العالمية الأولى وقتل عشرة ملائين من شباب أوربا وأمريكة وواجهت المرأة القسوة فوجدت ملايين النساء بلا عائل إما لأنه قتل أو شوه أو أفسدت نفسية أو لأنه يريد أن يستمتع بعد هول الحرب ولايريد أن يتزوج ويعول أسرة تكلفه جهداً ونصباً .

وقد اسفرت الحرب عن نقص واضح في الأيدي العاملة فكان حتماً على المرأة أن تعمل وإلا تعرضت للجوع هي ومن تعول عليها من المسنين والأطفال وأدى تهافتها على العمل إلى كثير من التنازل عن الضوابط الخلقية طالما كانت أخلاقها قيداً يمنع عنها الطعام لاسيما أنه لم يكن في وسع الفتيات والنساء أن يشبعن حاجاتهن الطبيعية بطريق مشروع ولوتزوج كل من بقي حياً من الرجال بسبب النقص الهائل الذي حدثت في عدد الرجال بعد الحرب وليس هناك مخرج كالذي وضعه الإسلام لمثل هذه الحالات بتعدد الزوجات فلم يكن أمام المرأة إلا أن تسقط راضية أو كارهة لتحصل على حاجة الطعام والجنس واستغلت المصانع حاجة المرأة إلى العمل وظلت تعاملها معاملة ظالمة وتمنحها أجراً أقل من الرجل وكان لابد من ثورة جامحة تحطم ظلم المجتمع الأوربي الذي لم يبق لها شيئاً فقد بذلت نفسها وكرامتها وكبرياءها وأنوثتها وحقها في الأسرة والأولاد فلم يبق أمامها إلا أن تطلب المساواة في الأجر مع الرجل وهو حق طبيعي وبديهي ولكن الرجل الأوربي لم يتنازل عن سلطته بسهولة وانتهجت المرأة وسائل الإضراب والتظاهر والدعاية والصحافة وبدأ لها أنها لابد أن تشارك في

التشريع لتمنع الظلم من منبعه فطالبت بحق الانتخاب ثم بحق التمثيل البرلماني وبالتعليم كالرجل وبدخول وظائف الدولة مثلة ما دام قد تعلما بنفس الأسلوب وتلقيا تعليما واحداً ، وهكذا وجدت قضية المرأة وكفاحها لنيل حقوقها في أوربا ، وإن كانت بعض الدول الديمقراطية لاتزال وإلى الآن تمنع المرأة أجراً أقل من الرجل في وظائف الدولـــة كإنجلترا على الرغم من وجود نائبات في مجلس العموم.

فهل كان في ظروفنا التاريخية والاقتصادية والعقائدية ما يجعل للمرأة عندنا قضية ؟ لقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة تسوية كاملة في الوجود الإنساني وفي جميع الحقوق المتصلة اتصالاً مباشراً بالكيان البشري المشترك بين الرجل والمرأة ولكنه من البديهي أن يفرق بين الرجل والمرأة في بعض الحقوق وبعض الواجبات المتعلقة بالفروق الجوهرية بين الجنسين ، أما المواضع التي يفرق فيها الإسلام بين الرجل والمرأة نقف عند الفروق الجوهرية التي يتميز بها كل جنس عن الآخر فسيولوجيا وسيكولوجيا ، والحقيقة أن المساواة في الإنسانية أمـــر طبيعي وبديهي فالرجل والمرأة شقا الإنسانية، أما المساواة الآلية بين الجنسين في وظائف الحياة وطرائقها فلا حيلة لأحد فيها لا حيلة لأحد في أن يشارك الرجل في الحمل والولادة والإرضاع وتأسيساً على ذلك فإنه لايمكن هناك وظيفة بيولوجية من غير تكييف نفسي وجسدي خاص فمن الطبيعي أن يستتبع اختصاص أحد الجنسين بالحمل والولادة والرضاعة أن تكون مشاعر هذا الجنس وعواطفه وأفكاره مهيأة بطريقة خاصة لاستقبال هذه المهمة واستمرارها فالأمومة بمشاعرها النبيلة وأعمالها الرفيعة وما تتطلبه من الصبر والرقة هي التكييف النفسي والعصبي والفكري الذي يقابل التكييف الجسدي للحمل والإرضاع وكلاهما متمم للآخر بحيث يكون شذوذاً أن يوجد أحدهما في غيبة الآخر .

ولاشك في أن الرقة اللطيفة في العواطف والانفعال السريع والثورة القوية في المشاعر التي تجعل الجانب العاطفي لا الفكري هو المنبع المستعد أبداً للفيض والمستجاش لأول لمسة هي من مستلزمات الأمومة لأن مطالب الطفولة لاتحتاج إلى

التفكير الذي قد يسرع أو يبطئ ويستجيب أو لايسجيب وإنما يحتاج إلى عاطفة مشبوبة تلبي دون بطء أو تدبير فهـــذا هو الوضع الصحيح حين تلبي وظيفتها الأصلية والرجل من ناحية أخرى مكلف بوظيفة أخرى ومهيأ لها بطريقة أخرى مكلف بصراع الحياة سواء أكان الصراع في مجابهة الوحوش في الغابة أو قوى الطبيعـــة في السماء والأرض أو ظلم المجتمع وقوانينه لاستخلاص القوت ولحماية ذاته وزوجه وأولادة من العوز والعدوان ، وهي وظيفـة لا تحتاج أن تكون العاطفة هي منبعها المستجاش بل أن ذلك يضرها ولاينفعها وإنما يصلح لذلك الفكر الذي هو أقدر على التعبير وحساب المقدمات والنتائج قبل التنفيذ وهو أبطأ عملاً من العاطفة الجياشة المتفجرة وليس المطلوب منه هو السرعة بقدر ما هو تقدير العواقب والتأني للأمور سواء أكان المقصود صيد فريسته أو اختراع آلة ووضع خطة اقتصادية أو سياسية حكم أو إشعال حرب أو تدبير مسلم فلها تحتاج إلى أعمال الفكر ويفسد ها تقلب العاطفة ولذلك فالرجل في وضعه الصحيح حين يؤدي هدفه الصحيح والمرأة كذلك سواء بسواء.

هذا الاختلاف في الجوهر يفسر لماذا يستقر الرجل في عمله ويمنحه الجانب الأكبر من نفسه وتفكيره بينما هو في المجال العاطفي متنقل كالأطفال في حين أن المرأة تستقر في علاقتها العاطفية تجاه الرجل وهي في هذا السبيل أبعد ما تكون نظراً و أشد ما تكون دقة بينما هي لاتستقر في العمـــل إلا أن يكون فيه ما يلبي جزءاً من طبيعتها الأنثوية كالتمريض والتدريس والحصانة.

وهذا الافتراق والتخصص الطبيعي والوجداني ليس معناه الفصل الحاسم بين الجنسين وليس معناه أن كلا منهما لا يصلح أية صلاحية لعمل الآخر .... وذلك أن الجنسين خليط بنسب متفاوتة فإذا وجدت امرأة تصلح للحكم أو القضاء أو حمل الأثقال أو الحروب وإذا وجد رجل يصلح للطبيعي وإدارة البيوت أو الإشراف الدقيق على الأطفال او الحنان الأنثوي أو كان سريع التقلب بعواطفه يتنقل إلى النقيض فكل ذلك

أمر طبيعي ونتيجة صحيحة لاختلاط الجنسين في كيان كل جنس ولكن ذلك لايدل بحال من الأحوال أية دلالة على انعدام الفرق بينهما. (١١)

المرأة في شباك عرض الحضارة الغربية

لاشك في أن الحضارة الغربية قد انغمست في اللهو والترف والفوضى الجنسية فقد ضلت الطريق القويم ولاتعرف أين تروح وقد اتخذت هذه الحضارة تعتنق السلطة والثروة والجنس خاصة في الولايات المتحدة لتعلى ارتفاعات الحياة اليومية ولكنها نسيت الأخلاق الفاضلة التي تليق بالحياة الإنسانية الحقة.

وهناك ثلاثة أشياء اعتنقت بها الحضـــــارة الغربية فانزلقت أقدامها ووقعت في الخراب والفساد والدمار وهي : السفور والاختلاط المفرط والفوضى الجنسية مع أن الإسلام قد قطع دابر هذه الأشياء الثلاثة ونظف المجتمع من الأرجاس المنتنة والأعمال الفاسدة الضارة المؤدية إلى الخراب الذهني والاضطراب الفكري والجلبة والضوضاء الصارخ بقوى الصوت فقط، فالإسلام حريص كل الحرص على إشاعة الثقة واليقين في السلام البيتي ولـــذا نهى الإسلام عن التبرج والتحرج من الاختلاط وأمر بالحشمة والتحفظ، وإن من حق الرجل كما أن من حق المرأة أن يطمئن كلاهما إلى رفيقه و ألا يتعرض للإغراء الذي قد تنحرق معه عواطفه عن شريكه إن لم يقده الانحراف في العواطف والانزلاق والخطيئة مما يهدد الزواج المقدس ويطير عن جوالثقة الكاملة والإطمينان .

هذا الانحراف في العواطف والانزلاق إلى ما هو أبعد واقع كل يوم وكل لحظة في المجتمعات التي ينطلق فيها الاختلاط وتنطلق فيها المرأة متزينة متبرجة كما هو الحال في الحضارات الغربية مع أن السفور شئ قاتل جداً وهذا السفور أسفر عن أضرار متنوعة ومفاسد ملونة تلمع كا السراب في أول وهلة وكلما يصل إليه الظمآن

والعطشان لايجد إلا خدعة فارغة وكذلك كلما كانت المرأة تخرج من البيت متبرجة بزينتها تنطلق معها شياطين الفتنة والإغراء وهذر فارغ يكذبه الواقع ما تلهج به ألسنة الببغاوات هنا وألسنة الشاردين هناك من أن الاختلاط يهذب المشاعر ويصرف الطاقات المكبوتة ويعلم الجنسين آداب الحديث وآداب المعاشرة ويزود بالتجربة التي تصون من الذلل وأن الاختيار القائم على التجربة الكاملـــة كفيل بأن يمسك الشريكان كلاهماً لصاحبه لأنه إنما اختاره عن رضى وبعد تجربة .

وهذا الادعاء ادعاء فـــــارغ لا قيمة له في الأذهان المثقفة المهذبة وأقول هذا هذر يهدمه الواقع ، واقـــع الانحرافات الدائمة والتحولات المستمرة في العواطف وتحطيم البيوت بالطلاق وغير الطلاق وانتشار الخيانات الزوجية المزدوجة في تلك المجتمعات والتجربة الكاملة لاتمنع أن تبرز في حياة الزوج أو الزوجة باختلاط الطليق شخصية أخرى أقوى وأكمل وأشد جاذبية فماذا يقع حينذاك؟ إما أن ينزلق الزوج أو تنزلق الزوجة استجابة لهذا الهوى الجديد وإما أن يقاوم هو أو هي احتفاظاً بالواجب فيقع في القلق والاضطراب والحيرة وكلاهما طريق لايقود إلى سلام في القلب ولا إلى طمانينة في الروح ولا إلى أمن في البيوت ودع عنك تدلي الإنسانية في الفاحشة وارتكاسها في البهيمية وانتكاسها إلى مثل فوضى الحيوان ونزواته المطلقة العنان!

فأما خرافة التهذيب والتصريف النظيف باللقاء وبالحديث فليسألوا عنها نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية الأمريكية وقد بلغت في إحدى المدن ٤٨ في المائة وأما البيوت السعيدة بعد زواج الاختلاط المطلق والاختبار الكامل فليسألوا عنها نسبة البيوت المحطمة بالطلاق في أمريكية وهي تقفز فترة بعد فترة كلما ازداد الاختلاط وكلما تم الاختبار وهذه النسبة المخيفة تزداد يوماً فيوماً. وهذا السفور والاختلاط يقودان النفس البشرية إلى البهيمية الفتاكة ويكون الناس عميانا لايبصرون حتى أتت أقدامهم إلى إشبـــاع رغباتهم الجامحة والشهوات المسمومة القاتلة والرغبات المتقلبة والقلق الجانح الذي يثيره تقلب العواطف في المجتمع المختلط الذي تلوح فيه للأزواج والزوجات مزايا جديدة في نساء جدد ورجال فينفلت هؤلاء وهؤلاء

إلى صيد جديد وتتأرجح البيوت في مهاب الريح كلما لمح زوج أو لمحت زوجة بارقة لامعة في شخصية جديدة كما لو كان الزوج أو كانت الزوجة قطعت أثاث أو رباط عنق أو زياً جديداً بدأ في عالم " المودات " !

لقد آن أن تراجع البشرية تلك النظريات الخيالية الخاوية التي كانت تقول : إن الاختلاط تصريف جزئي ملطف نظيف وأن التجربة تقود إلى الاختيار وأن الاختيار طريق الاستقرار ، إنها نظرية تبدو منطقية لكن التجربة الواقعية التي بلغت في أمريكا بالذات غايتها كفيلة بأن تسخر من هذا المنطلق الظـــــاهري البراق فلم يؤد الاختلاط إلى تصريف نظيف إنما أدى إلى البهيمية كاملة تطيع النزوات الجسدية وتلبيتها بلا حد ولاقيد ولم تؤد التجربة الكاملة والاختبار المطلق إلى تماسك في البيوت ولا إلى استقرار وثبات إنما أدى إلى تفكك دائم وطلاق متزايد وجوع مستمر وسعار!

إن التجربة الأمريكية في هذا المجال لتجبه آراء فرويد وأمثاله بالتكذيب إنها لتصرخ في وجه من يريد أن يسمع بأن الاختلاط الدائم مدعاة إلى تهيج دائم إما أن ينتهي إلى ذروته وغايته فينطفئ مؤقتاً ريثما يعود إلى الاشتعال وإما أن لاينتهي إلى هذه الغاية العلمية المادية فيؤدي إلى الضغط العصبي وما وراءه من الأمراض . أما الجائعون والمنغمسون في التطرفات الجسدية والعقلية بسبب فقدان الاخلاق الفاضلة وأهمية القرابة الإنسانية والأخوية قد لجأوا إلى هذه المنكرات الدسمة بعد فقدهم الطبيعة الفاضلة والدين الحقيقي الذي خلق الله البشرية عليه وأظن هذا ظلم عظيم أن نخلق المشاكل والمتاعب والمصائب للمرأة ونضع على عاتقها أكثر مما وضعه الله عليهـــا ونحيلها من مسئولياتها الهامة الأساسية التي لا يمكن القيام بها لسواها ولايمكن في حيز إمكان الرجل أن يقوم بتربية الأولاد وتثقيفهم وتهذيبهم بسبب الخشونة والصلابة والقسوة في طبيعته التي خلقه عليها أما المرأة هي على عكس من الرجل في هذه الصفات.

لقد كان الاخلاص العملي وحده كفيلاً بإعادة النظر في هذه النظريات كلها على ضوء التجربة الأمريكية الواقعية التي تشهد بأن الدوافع الجسدية من القوة والعمق

بحيث لا يطفئها تصريف الاختلاط ولاحتى تصريف الارتواء فأنت لا تسكت جوعة المعدة بشم رائحة الشواء بل تزيد تشهيا وأنت لا تسكت هذه الجوعة كذلك بالأكلة الدسمة المتخمة إلا إلى حين تفيق بعدها وهي أشد تشهياً وأطلب للأكلات الدسمات وما جوعة الجسد إلا كجوعة المعدة كلتاهما دائمة وقد شاءت لها القدرة الخالقة هذا الدوام لأنها تنوط بها مهمة دائمة في امتداد الحياة وهـــــذا هو الذي تصرخ به التجربة الأمريكية في وجوه النظريات والخيال ولقد كان الإسلام يقدر هذا كله وهو يشير بالحشمة ويتحرج من الاختلاط ويأمر بغض الأبصار ويحرم التبرج ، لقد كان يريد الضمائر أن تقر وللأرواح أن تطمئن وللبيوت أن تهدأ لقد كان يريد السلام للعيش الذي ليس ملكاً للزوجة فهما فيهما راعيان للفراخ الزغب أمينان على الطفولة النابتة حارسان للحياة المتفتحة في مثابة الأمان . ولكن الببغاوات هنا والشاردون هناك يقولون: إن الضبط لابد مؤد إلى العقد النفسية وذلك لأنهم لا يتخيلون صـــــورة للمجتمع إلا تلك الصورة القذرة صورة الشياطين الهائجين محتكين بالفتيات الفائرات صورة الأفخاذ والنهود عارية بارزة صورة النظرات جاهرة في العيون والشهوات ناضجة في الشفاه تدفعها كلهـــا وتؤججها مناظر الأفلام الداعرة وصور الصحف المجرمة وأصوات المخنثين والمخنثات في الإذاعة ومن وراء ذلك كله الترف والفراغ في جانب ومن حول ذلك كله تجار الأعراض ومخانيث القوادين.

المرأة في حضارات البلاد المختلفة الغربية

هـــــذا هو حال المرأة في الحضـــارة الغربية التي تعد من ارقى الحضارات العالمية ولكنها ليست كذلك لأن الذي يترك الحق ويأخذ الباطل ويظنه حقاً والذي لايمكن له أن يميز بين الأصل والزائف ويقبله بأذرع مفتوحة فاهما أنه هو الأصل والذي لادين له ولاإيمان له إذا كيف يمكن له أن يكون راقياً في العالم كما هو حال الكثيرين الذين يحسبون أن التقيد بمنهج الله وبخاصة في علاقات الجنسين شاق مجهد والانطلاق مع الذين يتبعـــــون الشهوات ميسر مريح! وهذا وهم كبير فاطلاق الشهوات من كل قيد وتحري اللذة في كل تصرف وإقصاء الواجب الذي لامكان له إذا كانت اللذة وحدها هي الحكم الأول والأخير وقصر الغـــاية من التقاء الجنسين في عالم الإنسان على ما يطلب من مثل هذا الالتقاء في عالم البهائم والتجرد في علاقات الجنسين من كل قيد أخلاقي من كل التزام اجتماعي إن هذه كلها تبدو يسرا وراحة وإنطلاقاً ولكنها في حقيقتها مشقة وجهد وثقلة وعقا بيلها في حياة المجتمع بل في حياة كل فرد عقابيل مؤذية مدمرة ماحقة . والنظر إلى الواقع في حياة المجتمعات التي تحررت من قيود الدين والاخلاق والحياء في هذه العلاقة يكفي لإلقاء الرعب في القلوب لو كانت هنالك قلوب ، ولقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هي المعول الأول الذي حطم الحضارات القديمة حطم الحضارة الإغريقية وحطم الحضارة الرومانية وحطم الحضارة الفارسية وهذه الفوضى ذاتها هي التي أخذت تحطم الحضارة الغربية الراهنة وقد ظهرت آثار التحطيم شبه كاملة في إنهيارات فرنسا التي سبقت في هذه الفوضى وبدأت هذه الآثار تظهر في أمريكا وإنجلترا والسويد وغيرها من دول الحضارة الحديثة وقد ظهرت آثار هذه الفوضى في فرنسا مبكرة مما جعلها تركع على أقدامها في كل حرب خاضتها منذ سنة ١٨٧٠م إلى اليوم وهي في طريقها إلى الإنهيار التام كما تدل جميع الشواهد وهذه بعض الأمارات التي أخذت تبدو واضحة من بعد الحرب العالمية الأولى .

" إن أول ما قد جرى على الفرنسيين تمكن الشهوات منهم : إضمحلال قواهم الجسدية وتدرجها إلى الضعف يوما فيوماً فإن الهياج الدائم قد أوهن أعصابهم وتعد الشهوات يكاد يأتي على قوة صبرهم وجلدهم وطغيان الأمراض السرية قد اجحف بصحتهم فمن أوائل القرن العشرين لايزال حكام الجيش الفرنسي يخفضون من مستوى القوى والصحة البدنية المطلوب في المتطوعة للجند الفرنسي على فترة كل بضعة سنين لأن عدد الشبان الوافين بالمستوى السابق من القوة والصحة لايزال يقل ويندر في الأمة على مسير الأيام وهذا مقياس أمين يدلنا كدلالة مقياس الحرارة على كيفية اضمحلال القوى الجسدية في الأمة الفرنسية." (١٢)

والأمة الفرنسية يتناقص تعدادها بشكل خطير: ذلك أن سهولة تلبية الميل الجنسي وفوضى العلاقات الجنسية والتخلص من الأجنة والمواليد لاتدع مجالاً لتكوين الأسرة ولا لاستقرارها ولا لأحتمال تبعة الأطفال الذين يولدون من الالتقاء الجنسي العابر ومن ثم يقل الزواج ويقل التناسل وتتدحرج فرنسا منحدرة إلى الهاوية .

" سبعة أو ثمانية في الألف هو معدل الرجال والنساء الذين يتزوجون في فرنسا اليوم ولك أن تقدر من هذا المعدل المنخفض كثرة النفوس التي لا تتزوج من أهاليها ثم هذا النزر القليل من الذين يعقدون الزواج قل فيهم من ينوون به التحصن والتزام المعيشة البرة الصالحة بل هم يقصدون به كل غرض سوى هذا الغرض حتى إنه كثيرا ما يكون من مقاصد زواجهم أن يحللوا به الولد النغل الذي قد ولدته أمه قبل النكاح أو يتخذوه ولدا شرعيا ! فقد كتب " بول بيورو" : من العادة الجارية في طبقة العالمين في فرنسا أن المرأة منهم تأخذ من خدنها ميثاقا قبل أن يعقد بينهما النكاح أن الرجل سيتخذ ولدها الذي ولدته قبل النكاح ولدا شرعيا له وجاءت امرأة في محكمة الحقوق بمدينة سين فصرحت : إنني كنت آذنت بعلي عن النكاح بأني لا أقصد بالزواج إلا استحلال الأولاد الذين ولدتهم نتيجة اتصالي به قبل النكاح وأما أن أعاشره وأعيش معه كزوجة فما كان في نيتي عند ذاك ولا هو في نيتي الآن ولذلك اعتزلت زوجي في اصيل اليوم الذي تم فيه زواجنا ولم ألتق به إلى هذا اليوم لأني كنت لا أنوي قط أن

أعاشره معاشرة زوجية . قال عميد كلية شهيرة في باريس لبول بيورد : إن عامة الشباب يريدون بعقد النكاح استخدام بغي في بيتهم أيضا ذلك أنهم يظلون مدة عشر سنين أو أكثر يهيمون في أودية الفجور أحرارا طلقاء ثم يأتي عليهم حين من دهرهم يملون تلك الحياة الشريدة المتقلقلة فيتزوجون بإمرأة بعينها حتى يجمعوابين هدوء البيت وسكينته و لذة المخادنة الحرة خارج البيت ". (١٣)

وهكذا تدهورت فرنسا وهكذا هزمت في كل حرب خاضتها تتوارى عن مسرح الحضارة ثم عن مسرح الوجود يوما بعد يوم حتى تحق سنة الله التي لا تختلف إن بدت بطيئة الدوران في بعض الأحيان بالقياس إلى تعجل الإنسان .

أما في الدول التي لا تزال تبدو فتية أو لم تظهر فيها آثار الدمار واضحة بعد فهذه نماذج مما يجري فيها كحرية الحب و الرخاء المادي مع وجود كل هذه المشجعات على الاستقرار في الحياة وتكوين أسرة فإن الخط البياني لعدد سكان السويد يميل إلى الانقراض مع وجود الدولة التي تكفل للفتاة إعانة زواج ثم تكفل لطفلها الحياة المجانية حتى يتخرج في الجامعة فإن الأسرة السويدية في الطريق إلى عدم إنجاب أطفال على الإطلاق ! ويقابل هذا انخفاضاً مستمراً في نسبة المتزوجين وارتفاع مستمر في نسبة عدد المواليد غير الشرعيين مع ملاحظة أن عشرين في المائة من البالغين الأولاد والبنات لا يتزوجون أبدا ، حتى آن الوقت أن يبدأ عهد التصنيع وبدأ معـــه المجتمع الاشتراكي في السويد عام ١٨٧٠ . كانت نسبة الأمهات غير المتزوجات في ذلك العام ٧ في المائة و ارتفعت هذه النسبة في عام ١٩٢٠ إلى ١٧ في المائة والإحصاءات بعد ذلك لم أعثر عليها ولكنها ولا شك مستمرة في الزيادة .

وقد ساد الحب الحر على السويد فتبين منها أن الرجل تبدأ علاقاته الجنسية بدون زواج في سن الثامنة عشرة والفتاة في سن الخامسة عشرة وأن ٩٥ في المائة من الشبان في سن ٢١ سنة لهم علاقات جنسية ، وإن ٧ في المائة من هذه العلاقات الجنسية مع خطيبات ، و٣٥ في المائة منها مع حبيبات ، و٥٨ في المائة منها مع صديقات عابرات ، وأن ٣ في المائة من هذه العلاقات مع أزواج ، و٢٧ في المائة منها

مع خطيب ، و٦٤ في المائة منها مع صديق عابر، ٨٠ في المائة من نساء السويد مارسن علاقات جنسية كاملة قبل الزواج ، و٢٠ في المائة بقين بلا زواج وقد أسفرت حرية الحب بطبيعة الحال عن الزواج المتأخر وإلى الخطبة الطويلة الأجل مع زيادة عدد الأطفال غير الشرعيين كما ذكرت . هذه هى حالة سكان السويد و النرويج و الدنمارك و باقي دول اسكندنافية .

والحال في أمريكة لا تختلف عن هذه الحال و نذر السوء تتوالى والأمة الأمريكية في عنفوانها لا تتلفت للنذر ولكن عوامل التدمير تعمل في كيانها على الرغم من هذا الرواء الظاهري تعمل بسرعة مما يشي بسرعة الدمار الداخلي على الرغم من كل الظواهر الخارجية و لقد وجد الذين يبيعون أسرارأمريكة وبريطانية العسكرية لأعدائهم لا لأنهم في حاجة إلى المال ولكن لأن بهم شذوذا جنسيا ناشئا من آثار الفوضى الجنسية السائدة في المجتمع وكذلك من المعروف أن هناك مكاتب مهمتها البحث عن الزوجات الهاربات والبحث عن الأزواج الهاربين و ذلك في مجتمع لا يدري فيه الزوج إن كان سيعود فيجد زوجته في الدار أم يجدها قد طارت مع عشيق و لا تدري الزوجة إن كان زوجها الذي خرج في الصباح سيعود إليها أم ستخطفه أخرى أجمل منها أو أشد جاذبية ذلك مجتمع تعيش البيوت فيه في مثل هذا القلق الذي لا يدع عصبا يستريح .

وقد كتبت إحدى المجلات الأمريكية منذ أكثر من ربع قرن تقول : عوامل شيطانية ثلاثة يحيطها ثالوثها بدنيانا اليوم وهى جميعها في تسعير سعير لأهل الأرض أولها : الأدب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحة ورواجه بعد الحرب العالمية الأولى بسرعة عجيبة .

والثاني : الأفلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهواني فحسب بل تلقنهم دروسا عملية في بابه .

والثالث : انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء الذي يظهر في ملابسهن بل في عريهن وفي إكثارهن من التدخين و اختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام . هـــــذه

المفاسد الثلاث فينا إلى الزيادة والانتشار بتوالي الأيام ولا بد أن يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين وفناءهما آخر الأمر فان نحن لم نحد من طغيانها فلا جرم أن يأتي تاريخنا مشابها لتأريخ الرومان ومن تبعهم من سائر الأمم الذين قد أوردهم هذا الاتباع للأهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء مع ما كانوا فيه من خمر ونساء أو مشاغل رقص ولهو وغناء . أما حال إنجلترا فقد كثرت في العامين الأخيرين جرائم الاعتداء على النساء وعلى الفتيات الصغيرات في طريق الريف وفي معظم الحالات كان المعتدى أو المجرم غلاما مراهقا وفي بعضها كان المجرم يعمد إلى خنق الفتاة أو الطفلة وتركها جثة هامدة حتى لا تفشي سره أو تتعرف عليه . (١٤)

هذا طرف مما تتكلفه البشرية الضالة في جاهليتها الحديثة من جراء طاعتها للذين يتبعون الشهوات و لا يريدون أن يفيئوا إلى منهج الله للحياة . المنهج الملحوظ فيه اليسر والتخفيف على الإنسان الضعيف والصيانة من نزواته وحمايته من شهواته وهدايته إلى الطريق الآمن والوصول به إلى التوبة والصلاح والطهارة .

الهوامش

١. سورة النساء ، الآية : ١

٢. سورة الحجرات الآية : ١١

٣. سورة الحجرات ، الآية : ١٢

٤. سورة النور ، الآية : ٢٧

٥. سورة آل عمران ، الآية : ١٩٥

٦. سورة النساء ، الآية : ٧

٧. سورة النساء ، الآية : ٣٢

٨. رواه الشيخان

٩. دراسات في الإسلام ، العدد ١٧٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة

١٠. الإسلام عقيدة وحياة ، للدكتور النعمان عبد المجيد القاضي

١١. المرأة بين هداية الإسلام وغواية الإعلام ، لصلاح الدين مقبول أحمد ، الكويت

١٢. المرأة في الأديان السماوية ، للشيخ محمد جاويد التوني ، القاهرة

١٣. في ظلال القرآن ، للسيد قطب ، ص: ٦٣٢-٦٤٠، دار الشروق ، الإسلام دين الفطرة والحرية ، للشيخ عبد العزيز جاويش ، دار المعارف بمصر ، القاهرة

١٤. پرده (اردو) للمولانا سيد أبو الأعلى المودودي، مركزي مكتبه إسلامي – الهند

١٥. المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية ، لمولانا وحيد الدين خان ، مكتبة الرسالة ، دلهي الجديدة – الهند

١٦. في ظلال القرآن المجلد الثاني للسيد قطب ، تفسير سورة النساء ، دار الشروق .

الباب الرابع

حقيقة قضية ولاية جامو وكشمير
و تأثر المرأة بتقلبات السياسة المدمرة فيها

ولاية جامووكشمير وموقعها الاستراتيجي

تقع كشمير في أقصى الشمال الغربي لشبه قارة جنوب آسيا وتتمتع بموقع استراتيجي بين آسيا الوسطى وجنوب آسيا ، حيث تتقاسم الحدود مع كل من الهند وباكستان وأفغانستان والصين وتحدها من الجهة الشمالية الغربية أفغانستان ومن الشمال تركستان الشرقية ومن الشرق منطقة تبت ومن الجنوب كل من محافظـــــــــة " هيما شال براديش" ومنطقة " البنجاب " الهنديتين ومن الغرب إقليما البنجاب وسرحد الباكستانيان " .

وتبلغ مساحتها الكلية ٨٦٠٢٣ ميلاً مربعاً يقسمها وقف إطلاق النار لعام ١٩٤٩م حيث إن ٣٢٣٥٨ ميلاً مربعاً منها يشمل الجزء المحرر ويسمى ولاية جامو وكشمير الحرة و ٥٣٦٦ ميلاً مربعاً منها تحت الاحتلال الهندوسي ويطلق عليها ولاية جامو وكشمير المحتلة. ويزيد عدد سكانها عن خمسة ملايين نسمة أغلبهم مسلمون والقلة القليلة من الهندوس والسيخ والأقليات الأخرى.

المدن الكشميرية :

أرض كشمير المعروفة بهذا الاسم هي ولاية جامو وكشمير وتقسم كشمير إلى خمس مناطق رئيسية هي :

لاداخ : كبرى هذه المناطق حيث تصل مساحتها إلى ٥٩٠٠كم، وهي تقع في المنطقة الشرقية والشمالية للولاية يصفها الجغرافيون بأنها من أجمل بقاع الأرض ويطلق عليها التبت الصغيرة لثقافتها المشابهة للتبت كانت في الماضي محطة لتجارة الحرير . سكانها قليلون يعيشون الحياة البدوية ومعظمهم من البوذيين بالإضافة إلى بعض مسلمي الشيعة الذين يسكنون منطقة تسمى " كارغل " .

جامو : هي المنطقة الجنوبية الغربية للولاية مدينتها الأساسية أيضاً اسمها جامو ، ويقطن بها أغلبية هندوسية وأقلية مسلمة وقليل من السيخ (ذلك حسب الإحصائيات الهندية).

جلجيت : منطقة استراتيجية عند حدود باكستان الشمالية الغربية وأفغانستان وطاجكستان وهي منطقة جبلية تسكنها الطائفة الاسماعيلية الشيعية والتي ما زالت تحت حكم ما يسمى بالآغاخان.

بلدستان : تقع في الجنوب الشرقي لجلجيت بها معبر استراتيجي يربط الشمال الغربي من كشمير بلاداخ ويقطنها أناس من أصول وسط آسوية.

وادي كشمير : هو أهم أودية ولاية جامو وكشمير على الإطلاق – برغم كثرتها – ويعتقد علماء الجيولوجيا أنه كان بحيرة منذ ملائين السنين تسمى " ساتيار" ولكنها تأثرت بزلازل عديدة كانت سبباً رئيسياً في ظهور الوادي وقد سمي هذا الوادي بكشمير لأن قبائل " الكاش كاست " سكنت فيه منذ قديم الأزل غالبية أهله من المسلمين ويتحدثون باللغة الكشميرية. تبلغ مساحة الوادي ١٥٠٥٢كم ويرتفع ١٧٠٠متر عن سطح البحر تحيط بالوادي جبال " البنجابل" و " زانسكار " من جيمع جوانبه والوادي تملؤه الحدائق التي يعود تاريخها للعصر المغولي ، ويقطعها نهر " جهيلم " أحد أهم أنهار كشمير وتبلغ المسافة التي يقطعها النهر في الوادي ١٧٧متراً ويصل إلى حدود باكستان لكن تتوقف عند هذه الحدود الملاحة فيه حيث يصير ضحلا وهائجا بدرجة كبيرة. (١)

الأهمية الإستراتيجية :

للموقع في برقية بعث بها نهرو إلى رئيس وزراء بريطانيا بتاريخ ١٩٤٧/١٠/٢٥م : " أن كشمير – كما تعلمون – ترتبط من الناحية الشمالية بحدود مشتركة مع ثلاث دول هي أفغانستان ، والاتحاد السوفيتي والصين " وهو ما يجعل أمن جامو وكشمير أمراً حيوياً لأمن الهند خاصة وأن الحدود الجنوبية لكشمير مشتركة مع الهند فمساعدة مهراجا جامو وكشمير إذن واجب يمثل مصلحة قومية للهند" وعلى جانب الآخر تعتبر باكستان أن ولاية جامو وكشمير منطقة حيوية بالنسبة لأمنها نظراً لأن الطريقين الرئيسين وشبكة السكة الحديدية في سرد وشمال شرق لبنجاب تجري محاذية لكشمير لذا فإن إحتلال الهند لولاية جامو وكشمير يشمل تهديداً مباشراً لباكستان وخاصة أن فيها ثلاثة أنهار تعتبر المغذي الرئيسي للنظام الزراعي في باكستان تصب كلها من ولاية جامو وكشمير . وقد لخص الأستاذ ظفرالله خان وزير خارجية باكستان هذه الأهمية في قوله : إن إلحاق ولاية جامو وكشمير بالهند لايمكن أن يضيف شيئاً كثيراً إلى اقتصاد الهند أو أمنها الاستراتيجي ، بينما يمثل أمراً حيوياً لباكستان فإذا ما انضمت الولاية إلى الهند فإن باكستان سواء من الجانب الإستراتيجي أو الاقتصادي إما أن تصبح جزءاً خاضعاً لسلطة الهند أو ينتهي وجودها كدولة ذات سيادة مستقلة " .

وبعيدًا عن هذه التعليلات السياسية و الاسترتيجية للقضية فإن المحرك الرئيسي لسياسات أطـــــراف النزاع يكمن في " صراع النظريات" الذي نشب بين نظرية الشعب الواحد ونظرية الشعبين وهو ما عبر عنه نهرو بصراحة حينما قال : إن الأمر لايتعلق بولاية جامو وكشمير بل بصراع أعمق من ذلك بكثير يقف في العلاقات الباكستانية – الهندية و يجعل الوضع خطيراً جداً فنحن لا نستطيع أن نتخلى عن اهدافنا الاساسية التي حملناها طويلاً والتي تعتبر أساس دولتنا. "

أهمية كشمير بالنسبة للهند :

تمثل ولاية جامو وكشمير أهمية استراتيجية للهند جعلها شديدة التمسك بها على مدى أكثر من خمسين عاماً رغم الأغلبية المسلمة بها ورغم الحروب التي خاضتها واستنزفت من مواردها البشرية والاقتصادية الكثيرة وتتلخص هذه الأهيمة فيما يلي :

١- تعتبرها الهند عمقاً أمنياً استراتيجياً لها أمام الصين وباكستان.

٢- تنظر إليها على أنها امتداد جغرافي وحاجز طبيعي مهم أمام فلسفة الحكم الباكستاني التي تعتبرها قائمة على أسس دينية مهما يهدد الأوضاع الداخلية في الهند ذات الأقلية المسلمة الكبيرة العدد.

٣- تخشى الهند إذا سمحت لولاية جامو وكشمير بالاستقلال على أسس دينية أو عرقية أن تفتح باباً لا تستطيع أن تغلقه أمام الكثير من الولايات الهندية التي تغلب فيها عرقية معينة أو يكثر فيها معتنقو ديانة معينة.

أهمية كشميربالنسبة لباكستان :

أما أهمية إقليم جامو وكشمير بالنسبة لباكستان التي تعتبرها خطاً أحمر لايمكن تجاوزه أو التفريط فيه ، فيمكن التلخيص فيما يلي :

١- تعتبرها باكستان منطقة حيوية لأمنها وذلك لوجود طريقين رئيسيين وشبكة للسكة الحديدية في سرد وشمالي شرقي لبنجاب تجري بمحاذاة كشمير.

٢- ينبع من الآراضي الكشميرية ثلاثة أنهار رئيسية للزراعة في باكستان مما يجعل احتلال الهند لها تهديداً مباشراً للأمن المائي الباكستاني.

عدد السكان : اختلفت المصادر التي تتحدث عن عدد السكان في كشير ما بين المصادر الباكستانية والهندية . فطبقاً لإحصائية هندية أجريت عام ١٩٨١م بلغ عدد سكان الولاية ستين ملائين نسمة تقريباً ، شكل المسلمون منهم ٦٣،٢% والهندوس ٣٢،٢٥% والسيخ ٢،٢٣% والبقية ما بين بوذيين ومسيحين وأقليات أخرى.

الإسلام في ولاية جامو وكشمير

دخل الإسلام إلى ولاية جامو وكشميرخلال القرن الرابع عشر الميلادي حيث اعتنق وينشان – و هو حاكم بوذي كشميري – الإسلام في ١٣٢٠م على يد سيد بلال شاه المعروف بـ بلبل شاه هو رحالة مسلم من تركستان ، وقويت شوكة الإسلام خلال حكم شاه مير من سنة ١٣٣٩م إلى ١٣٤٤م وقد انخرط العلماء المتصوفة في صفوف الجماهير لتبليغ دين الله ومعظم هؤلاء العلماء قدموا من وسط آسيا ومن بينهم سيد بلال شاه ، سيد جلال الدين من بخارى، سيد علي الهمداني وابنه سيد محمد الهمداني ..... إلخ ورغم الجهود التي بذلها كل من هؤلاء العلماء فإن جهود سيد علي الهمداني المعروف باسم شاه همدتن قد تميزت من غيرها ، فقد ولد في منطقة همدتن بإيران سنة ١٣١٤م واضطره غزو قوات تيمور لنك لوسط آسيا إلى الهجرة إلى كشمير التي خصها بثلاث زيارات في سنوات ١٣٢٧م و ١٣٧٩م و١٣٨٣م على التوالي برفقة ٧٠٠من أتباعه حيث وفق في نشر الاسلام بين الآلاف من الكشميريين وتعقب ابنه سيد محمد الهمداني خطاه ، وأقنع الحاكم المسلم آنذاك إسكندر ١٣٨٩-١٤١٣م بتطبيق الشريعة وقد تميز الحاكم المسلم زين العابدين بن اسكندر ١٤٢٠-١٤٧٠م بتسامح كبير تجاه الهندوس وازدهرت كشمير خلال فترة حكمه حيث ادخل العديد من الصناعات والحرف من بينها : صناعة الورق والحرف اليدوية وغيرها ما اشتهرت به كشمير . وفي نهاية القرن الخامس عشر الميلادي كان أغلبية سكان هذه الولاية قد اعتنقوا الإسلام . ومما تجدر الإشارة إليه أن انتشار الإسلام في كشمير وتكاثر أتباعه كان يتم عن اقتناع كامل وليس قسراً أو إكراهاً ، حيث مهدت ظروف عديدة الطريق نحو هذا الانتشار الواسع للإسلام ومن أهمها :

١- رغبة الطبقة الدنيا من الهندوس في احراز المساواة الاجتماعية والفرص العادلة للازدهار وهو ما جعلها ترى في الإسلام أفضل بديل عن الحياة التي كانت تحياها .

٢- إضافة إلى سهولة تعليم مقارنة بالتعاليم البوذية وتعاليم البراهمة دون عن نغفل عوامل أخرى.

٣- فشل الحاكم الهندوسي في قمع الغزو المغولي وحالة الفوضى التي كانت تشهدها البلاد تحت حكمهم . وقد استمر الحكم الإسلامي في ولاية جامو وكشمير قرابة خمسة قرون من ١٣٢٠ إلى ١٨٩١م إتفـــاقية " امريتسار" ويتعبر هـــذا العهد " العصر الذهبي " لتاريخ الولاية وذلك لما كان الشعب الكشميري يتمتع به من الرفاهية والحرية والأمن والسلام تحت رعاية حكومة هؤلاء الحكام المسلمين.

الأعراق : يتكون الشعب الكشميري من أجناس مختلفة ، أهمها : الآريون ، المغول، الأتراك ، الأفغان ، يتحدثون بلغات أهمها : الكشميرية، الهندية ، الأردوية، ويستخدمون الحروف العربية في الكتابة .

في التاريخ : شهدت ولاية جامو وكشمير خلال فترات تاريخها المتعددة صراعات سياسية وفتن طائفية خاصة بين البوذيين والبراهمة وتعددت عوامل اشتعال هذه الصراعات ما بين دينية واجتماعية وسياسية ثم حل فيها هدوء نسبي من القرن التاسع إلى الثاني عشر الميلادي وازدهرت الثقافة الهندوسية فيها، ولكن مع بداية القرن الرابع عشر الميلادي ثمة تغيير جوهري حصل عبر إعلان حاكمها البوذي وينشان إسلامه وأسلم معه عدد غفير من الكشميريين . وعلى مدى خمسة قرون ١٣٢٠- ١٨١٩م انتشر الإسلام . (٢)

ولاية جامو وكشميروصراع الهوية

لا نبالغ إذا قلنا : إن قضية ولاية جامو وكشميرتتشابه إلى حد كير مع نكبة ومأساة فلسطين فالقضيتان بدأتا في وقت واحد عام ١٩٤٧ م والشعبان المسلمان يواجه كل منهما عدواً عنيداً يسعى إلى إبادة أصحاب الأرض وإغتصاب حقوقهم المشروعة والتطرف المعاكس من قبل العدو الذي يعادي الإسلام ويحاول إلى استئصاله من الإقليم المسلم ويسوم المسلمين هناك صنوف التعذيب والاضطهاد لا يقل خطورة عن التطرف الصهيوني في فلسطين وكما شهد الفلسطينيون مذابح بشعة على أيدي الصهاينة عبر نصف قرن أو يزيد، شهد المسلمون في ولاية جامو وكشميرالعديد من المذابح التي ذهبت ضحيتها الآلاف منهم والقضيتان في مجلس الأمن الدولي شهدتا تواطؤاً دوليا ، ترتب عليه ضياع حقوق المسلمين فقد صدرت عشرات القرارات التي تؤيد حق الشعبين في تقرير مصيرهما وإدانة الاعتداءات الصهيونية في فلسطين والعدو العنيف في الهند ، ولكن هذه القرارات لم تنفذ حتى اليوم والأمم المتحدة تراخت في تنفيذ القرارات الدولية التي اصدرتها لصالح مسلمي كشمير وتمارس القوات المتعصبة جرائم وحشية بربرية في هذه الولاية لا مثيل لها في التاريخ: من قتل وتعذيب وتشريد للسكان وهتك للأعراض وحرق للبيوت والمتاجر والحقول.

يعود تاريخ القضية الكشميرية إلى أكتوبر ١٩٤٧م عندما قامت الهند بإنزال قواتها في الولاية تاركة وناسية أساس تقسيم شبه القارة الهندية ومتخذة من الوثيقة المزورة باسم الملك للولاية آنذاك " هري سينغ " مبرراً لاجتياح الولاية وضمها بالقوة على الرغم من أن هذا الضم الإجباري يخالف قرار تقسيم شبه قارة جنوب آسيا الذي أقرته الهند وباكستان وقام على أساس فكرة " الأمتين " وهو ما يعني أن المسلمين في شبه القارة الهندية ليسوا جزءاً من القومية والحضارة الهندوسية وإنما أمة مستقلة بذاتها لم تُبن على أساس جغرافية وإنما على العقيدة الإسلامية .

وطبقا لهذه الفكرة جاءت تقسيم شبه القارة الهندية الذي نص على أن المناطق والولاية ذات الأغلبية المسلمة ستكون ضمن إطارالدولة الباكستانية فيما ستضم

الولايات والمناطق ذات الأغلبية الهندوسية للدولة الهندية التي ستقام على أسس علمانية، حيث أنها ستضم طوائف وديانات أخرى وعلى هذا الأساس قام المسلمون الذين يقطنون الولاية ذات الأغلبية الهندوسية بالهجرة إلى موطنهم الجديد وتعرضوا خلال سفرهم وتنقلهم إلى محن ومآسن كثيرة وكان أخطرها المذابح التي تلقوها على أيدي الهندوس والأسياخ في طريقهم إلى باكستان. ولكي نقف على الأبعاد والتطورات الحقيقية لقضية كشمير لا بد من الوقوف على تاريخها القديم والحديث وجذور الصراع والجهود السلمية المبذولة من قبل الدول المعنية والموقف الدولي إزاء تلك القضية المتجددة ومبادئ القضية وآفاق التسوية .

بدايات الصراع : أصدر البرلمان البريطاني في ١٧ تموز ١٩٤٧م قانون استقلال الهند الذي أنهى الحكم البريطاني لها وتم تنفيذ القرارفي ١٥ آب من العام نفسه وترك لمئات من الإمارات والولايات حق الاختيار بينهما غير أن ثلاث إمارات لم تتخذ قرارا بهذا الشأن هي حيدرآباد وجوناغار وكشمير ثم قرر حاكم جونا غار المسلم أن ينضم إلى باكستان رغم وجود أغلبية هندوسية في الإمارة و أمام معارضة هذه الأغلبية لقرار الحاكم دخلت القوات الهندية الإمارة مبررة تدخلها بأن سكان الإمارة هم من الهندوس وبالتالي لايجوز لحاكمها الانضمام إلى باكستان طبقاً لمبادئ التقسيم وأجرت استفتاء انتهت بانضمامها إلى الهند وحدث الشي نفسه في ولاية حيدرآباد حيث أراد حاكمها المسلم أن يظل مستقلاً بإمارته ولم تقره الأغلبية الهندوسية في الولاية على هذا الاتجاه فتدخلت القوات الهندية في ١٣ أيلول ١٩٤٧م ، ما جعلها ترضخ للانضمام إلى الهند . (٣)

وتبقى ولاية جامو وكشميروهي الولاية الثالثة التي كانت في وضع مختلف فغالبية سكانهـــــا من المسلمين وحاكمها الهندوسي المهراجا هري سينغ حاول أن يؤجل قراره ولكن التوتر كان يزداد وتعرض لضغوط كبيرة من الهند اضطرته أخيراً إلى أن يوقع صك الانضمام في تشرين الأول ١٩٤٧م متجاهلا أغلبية المسلمة في الانضمام إلى باكستان وبالتالي القواعد البريطانية السابقـــــة في التقسيم. لقد أثار

قرار المهراجا اضطرابات أهلية فأرسلت الهنـــد جيشاً إلى ولاية جامو وكشمير وكان هذا العمل نقطة التحول لبداية هذه القضية الخطيرة التي ارتكبتها وبدأتها الحكومة الهندية يعني أنها وضعت بنفسها قاعدة لحل مشكلة هذه الولايات الثلاثة ونقضتها بنفسها وابتعلت الحلو بشره عجيب وبصقت المر بحقد غريب، إن لم ترتكبها لم يكن الأمر على ما هو عليه الآن ولكنها اقترفت هذا الذنب العظيم فلذا بدأت الأمور تتعقد وتتجعّد فحصلت بينها وبين الكشميريين والجنود الباكستانيين مواجهات أسفرت عن احتلال الهند لثلثي الولاية وتدخلت الأمم المتحدة في النزاع وأصدر مجلس الأمن قـــراراً في ١٣ آب ١٩٤٧م ينص على وقف إطلاق النار وإجراء استفتاء لتقرير مصير الإقليم ولكن هذا القرار لم يعمل به وأخيراً وبناءً على اقتراح تقدمت به الأمم المتحدة تم تقسيم الولاية على طول خط وقف النار لعام ١٩٤٩ م ولاتزال الأمم المتحدة تراقبه وذلك بالرغم من القرارات التي صدرت عنها عام ١٩٥٠م ثم في عـــام ١٩٥١م والتي تنص على حرية تقرير مصير الشعب الكشميري سيتحدد مستقبل شعب جامو وكشمير طبقاً لرغبات السكان والمواطنين باجراءات استفتاء عام تحت رعاية الأمم المتحدة.

ومن جانبها حاولت الهند أن تمتص الضغوطات التي كانت تمارس عليها فأقرت في الدستور الهندي عام ١٩٥٠م بما يسمح لجامو كشمير بحكم ذاتي أوسع من غيرها من الولايات الهندية ولكن هذا لم يتحقق فعلاً بالرغم من تعهد زعماء الهند الاوائل وعلى رأسهم رئيس الوزراء الراحل جواهر لال نهرو في أكثر من مناسبة بحق شعب ولاية جامو وكشمير في تقرير مصيره كان أبرزها خطابه في ٢ كانون الثاني ١٩٥٢م الذي قال فيه : إذا قال شعب إقليم جامو وكشمير بعد إجراء استفتاء عام صحيح : لانريد أن نكون مع الهند فإننا سنقلبه على رغم ما قد يسببه لنا من ألم ولن نرسل أي جيش ضده أو سنقبل ذلك مهما آلمنا وسنغير الدستور إذا اقتضى الأمر " إلا أن أيا من هذه القرارات الدولية أو التعهدات الهندية لم تنفذ طوال أكثر من خمسين عاما، وفي السنوات الواقعة مابين ١٩٤٧م و ١٩٦٥م كانت الهند تمارس سياسة قمعية

تجاه سكان الولاية ما جعلهم يصابون بخيبات كثيرة، لاسيما أن نيودلهي أخلت بوعودها بإجراء انتخابات حرة ونزيهة حيث أنها قامت بعملية تزوير واسعة لضمان وصول حكومة مؤيدة في جامو وكشمير أضف إلى ذلك إخلالها بالوعد الذي قطعته نيو دلهي للزعيم السياسي الشيخ محمد عبد الله قبل ثلاثة عقود في الاستقلال الذاتي مقابل موافقته لدعم احتفاظ الهند بكشمير ولكن هذا الوعد لم ينجز حتى الآن.

حرب ١٩٦٥م :

وعاد التوتر مجدداً بين الدولتين في العام ١٩٦٥م حيث حاول الرئيس الباكستاني آنذاك دعم المقاتلين الكشميريين لكن الاحداث خرجت عن نطاق السيطرة وتتابعت الأحداث بصورة درامية لتأخذ شكل قتال مسلح بين الطرفين على طول الحدود بينهما واستمر الصراع لمدة ١٧ يوماً والتي لم يحقق فيها أي من الطرفين نصرا حاسماً وانتهت الجهود الدولية بعقد معاهدة وقف إطلاق النار بين الجانبين في الثالث والعشرين من أيلول. ولما كانت الحرب الباردة قائمة على قدم وساق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي خشي الأخير من استغلال الأوضاع المتفجرة في وسط آسيا ، خاصة وأنه لم يكن أيضاً على وئام مع الصين فحاول التدخل بقوة لإيقاف الحرب بين الطرفين وعقـــد في طاشقند مؤتمر مصالحة في كانون الثاني لعام ١٩٦٦م ، أفضى إلى تأجيل بحث ومناقشة قضية جامو وكشمير إلى وقت آخر ولكن وفاة رئيس الوزراء الهندي شاستري المفاجئة إثر نوبة قلبية انتهى بالمؤتمر إلى الفشل.

حرب ١٩٧١م :

لكن القتال لم يلبث أن عاد مجدداً بين الهند وباكستان في ١٩٧١م على أثر اتهامـــات باكستان للهنـد بدعم باكستـــان الشرقيـــــة " بنغلاديش" في محاولتها الانفصالية واستطاعت الهند أن تحقق نصراً كاسحاً على باكستان تمخض عنه قيام بنغلاديش في باكستان الشرقية الأمر الذي أدى إلى حصول تغيرات جوهرية في نمطية التفكير الاستراتيجي العسكري الباكستاني والهنـــدي على حد سواء أدخل

البلدان في دوامة من سباق التسلح كان الإعلان عن امتلاك السلاح النووي أم محاطاته. ودخل البلدين إثر ذلك في مفاوضات سلمية أطلق عليها " اتفاقية شملا " في تموز ١٩٧٢م ، اعترفت فيها الدولتان بأن " جامو وكشمير " هي منطقة منتازع عليها واتفقتا بموجبها على احترام خط التحكيم القائم على حدود ولاية جامو وكشمير إلى أن يتم التوصل إلى تسوية نهائية .

انتفاضة ١٩٨٩م :

اندلعت انتفاضة مسلحة في ولاية جامو وكشمير على إثر النزييف المفضوح لانتخابات ١٩٨٧م وللعب بنتائجها على نطاق واسع ومنعت " الجبهة الإسلامية المتحدة " التي كانت تتمتع بشعبية واضحة من تحقيق الفوز بالوسائل الديمقراطية فاحتج هؤلاء على التزوير في الانتخابات الأمر الذي دفع السلطات الهندية إلى اعتقالهم فقرروا في اجتماع داخل سجن سرينغر في نيسان ١٩٨٧م انتهاج سبيل الكفاح المسلح. حاولت الهند أن تفرغ الانتفاضة من مضمونها متهمة باكستان بأنها المحرك الأساسي لهذه الانتفاضة ولكن هذه المزاعم دحضت من قبل المراقبين الأجانب والصحافيين الهنود الذين تحدثوا عن الدوافع التي أدت إلى الانتفاضة ولكن الاعتراف الأهم جاء من وزير الدفاع الهندي الذي حسم هذا الجدل وأزال كل ما من شأنه أن يشكك من دوافع الانتفاضة الداخلية وذلك في محاضرة له القاها في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة عام ١٩٩١م حين قال : " هناك اعتقاد واسع النطاق بأن أيادي خارجية تقف وراء أحداث ولاية جامو وكشمير وتم في كل مرة الإشارة إلى باكستان باعتبارها المسئولة عما يحدث لكنني اعتقد أنه لا دخل للأيادي الخارجية في قضيـــــة هذه الولاية، فنحن أي الهنود الذين صنعنا مشكلة ولاية جامو وكشمير وإذا ما قرر آخرون الإفادة من الوضع فلا اعتقد أنه يجب أن نصنع من هذا الأمر قضية تشغل البال."

دوافع الانتفاضة :

يعود سبب اندلاع الانتفاضة إلى دوافع عديدة لعل من أهمها:

- حرمان الحكومات الهندية المتعاقبة شعب جامو وكشمير من أية مشاركة سياسية وذلك بتنصيب حكومات عاجـــــزة و من طريق التلاعب بنتائج الانتخابات وهذا الشعور بالحرمان السياسي كان عاملاً أساسياً في إشعال فتيل الأزمة في العام ١٩٨٩م .
- الممارسات التعصبية والتعسفية الهندية بحق شعب كشمير والإخلال بالعهود والمواثيق التي تعهدت بها الحكومات المتعاقبة فألغت العمل بقانون الحكم الذاتي لشعب جامو وكشمير الذي أقره الدستور الهندي في ما دته ٣٧٠، والذي لم يكن نتاجاً هندياً ذاتياً بل أقرته تحت وطأة الضغوط بهدف تهدئة الأوضاع في الولاية في الفترة الساخنة التي تلت قرار ضم ولاية جامو وكشمير بالقوة ولذلك حاولت الهند التملص منه وإقضاء عليه أنها مارست ضغوطاً على القيادات الكشميرية بتفويض الحكومة المركزية في نيو دلهي الكثير من الصلاحيات التي تمنحها هذه المادة لحكام الولاية مثل حق التمتع بدستور خاص وانتخاب رئيس الولاية وأن يكون لها علمها الخاص إضافة إلى تسمية رئيس الوزراء ، فسلبت بذلك كل الصلاحيات التي كانت من حق المجلس الدستوري الكشميري مثل حقوق المواطنة والحقوق السياسية وسلطة المحكمة العليا وتقسيم السلطة.
- قيام الهند بممارسات قمعية بحق شعب ولاية جامو وكشميروانتهاك حقـــــوق الإنسان حيث اصدرت مؤسسات حقوق الإنسان الدولية الكثير من جرائم الحرب التي ارتكبتها القوات الهندية في هذه الولاية المحتلة والتي ترابط في جامو وكشمير ويتجاوز عديدها ٥٠٠ ألف جندي، يشكلون حوالي نصف الجيش الهندي.

- إتباع الهند في ولاية جامو وكشميرسياسة اقتصادية اتخذت مسارات نمو غير متكافئة نتج منها ارتفاع معدلات البطالة بين سكان الولاية وهو ما اعترف به جورج فرناندیز في محاضرته عن قضية جامو وكشمير حين قال : إن مشكلات الكشميريين تنبع أساساً من ضعف النمو الاقتصادي الذي أعاقه الفساد والرشاوي ويكمن ذلك في معدل البطالة المرتفع والأهم من ذلك غياب انتخابات حرة ونزيهة " وما فاقم من الأوضاع الاقتصادية و ارتباط اقتصاد جامو و كشمير باقتصاد منطقة بنجاب الباكستانية قبل التقسيم وكان من نتيجة هذه السياسة أنه على رغم من أن الغالبية المسلمة تصل نسبتها لأكثر من ٧٠% في المئة إن نسبة ٣،٥٨ في المئة من الوظائف العليا تمنح لغير المسلمين – اعتمدت الهند سياسة دينية وثقافية متعالية غلبت فيها المعايير والقيم الهندوسية على القيم الإسلامية حيث أنها قامت بتغيير المناهج الدراسية وإلغاء تدريس اللغتين العربية والفارسية وتشويه التاريخ الإسلامي وإيقاف تدريس القرآن الكريم ما ترك أثراً سلبياً عميقاً في نفوس المسلمين ، فانهارت نظرية " الشعب الواحد " و أدركت العلماء والرجال المتحمسون في الولاية خطورة هذه السياسة وأثرها المدمر في نشوء جيل جديد فاقد للهوية والانتماء الأميين فقاموا بإنشاء مئات المدارس الدينية ولكن الحكومة الهندية ما لبثت أن منعت هذه المدارس من القيام بنشاطاتها في العام ١٩٨٣م إلا أن الوقت كان متأخراً جداً لوقف هذا المد الإسلامي وأصبحت القضية ليست مجرد الحصول على الاستقلال أو الاندماج مع باكستان بل تحركها أيضاً دوافع دينية انبثقت من روح الجهاد التي تغلغلت في نفوس الشباب في الولاية . (٤)

رغبات الانجليز المضللة والحركات الإسلامية في المنطقة

ولقد كان الاهتمام الاستراتيجي البريطاني في إنشاء إمارة في هذه المنطقة الجميلة الثرية يرجع إلى رغبة بريطانيا في إيجاد " حاجز " بين امبراطوريتها الهندية وبين الامبراطوريتين الروسية والصينية من جهة الشمال وعندما لفت وفد يمثل المسلمين أنظار نائب الملك البريطاني اللورد ريدينج أثناء زيارته لسرينغر في ١٩٢٤م إلى ما يعانيه المسلمون من محن ثم نفي أعضاء الوفد بالكامل كما تمت مصادرة ممتلكاتهم ، ويذكر أن الإنجليز عينوا لجنـــة يرأسها ب- ج- جانسي لتقصي مصادقية الشكاوى التي تقدم بها المسلمون ، وكان أن أكدت اللجنة وقوع مظالم ضد المسلمين غير أن المهراجا أهمل توصياتها.

الحركة الإسلامية : إرهاصات وقد لعبت مدرستان إسلاميتان – وهما مدرسة "مير واعظ" التابعة لمسجد " الجمعية " بسرينغر ومدرسة " همدتن" – دوراً فعالاً في تسليط الأضواء على المظالم التي كان يتعرض لها المسلمون في المجالين الاجتماعي والاقتصادي غير أن الوعي السياسي لم يتبلور في أذهان مسلمي جامو وكشمير إلا عندما برزت إلى الوجود الطبقة المثقفة من شعب ولاية جامو وكشمير حيث تم في سنة ١٩٢٢م إنشاء اتحاد الشباب المسلم في جامو من قبل تشودري غلام عباس وأضيفت هذه الجهود إلى جهود شيخ محمد عبدالله في ١٩٣٠م لتحريك المسلمين . وقد اندلعت الحركة الشعبية الجاموية والكشميرية في ١٩٣١م حينما منع موظف حكومي إمام المسجد من إلقاء خطبة الجمعة ، فقام شخص يدعى عبد القدير بإلقاء خطاب حماسي حول القرارات التي يصدرها المهراجا ضد المسلمين وفي ٧/١٣/ ١٩٣١م قتل ٢٢مسلماً كشميرياً حينما فتحت الشرطة النار على مظاهـــــرة عارمة كانت تحتّج على اعتقال عبدالقدير وفي ١٩٣٢/١٠/١٤م تم الإعلان عن إنشاء مؤتمر مسلمي جامو وكشمير تحت قيادة شيخ محمد عبد الله وقد أصبح المؤتمر أداة سياسية في حركة الجماهير ضد حكم المهراجا المتعسف . غير أنه لم يمض كثير من الوقت حتى أصبح الوضع السياسي في ولاية جامو وكشميريخضع لسياسة الهند البريطانية

بعد أن تبنى حزب الكونجرس الوطني الهندي نظرية " الشعب الواحد " التي مفادها أن الهند شعب واحد رغم تعدد طوائفها وأعراقها في حين كان المسلمون يتبنون نظرية " الشعبين " أي أن شعب القارة الهندية تحوي شعبين مختلفين تماما هما الهندوس والمسلمون. لكن انقساماً حدث بين المسلمين كذلك حينما مال شيخ محمد عبد الله إلى تنبي النظرية العلمانية القومية التي ينطلق منها الكونجرس الوطني الهندي وهو ما دعاه إلى تغيير اسم مؤتمر مسلمي جامو وكشمير فسماه المؤتمر الوطني . إلا أن مخاوف تشودري غلام عباس من أن يصبح هذا المؤتمر امتداداً لكونجرس الوطني الهندي دفعته في أكتوبر ١٩٤١م إلى بعث الحياة في مؤتمر مسلمي كشمير الذي استطاع من خلال الأغلبية التي يتمتع بها في المجلس التشريعي تمرير قرار يقضي بانضمام كشمير إلى باكستان وذلك بتاريخ ١٩/٧/ ١٩٤٧م . وفي عشية تقسيم شبه القارة ، كانت هناك ثلاث قوى سياسية في كشمير هي كالتالي :

١. المؤتمر الوطني بقيادة شيخ عبد الله الذي كان يرغب في الانضمام إلى الهند.
٢. مؤتمر مسلمي جامووكشمير بقيادة تشودري غلام عباس الذي يرغب في الانضمام إلى باكستان.
٣. المهراجا هري سينغ الذي كان يفضل الاستقلال عن باكستان والهند، وهذا لسببين اثنين:

(الف) أن المهراجا قد وقع اتفاقا مع باكستان بأن يبقى الوضع على ما هو عليه من التعاون بين الدولة و باكستان وذلك لأن ولاية جامو وكشميركانت تتبع قبل التقسيم السلطات المحلية الموجودة في مدينة لاهور التي انضمت إلى باكستان وبذلك أصبحت باكستان مسئولة عن الدفاع عن كشمير وعن شئوونها الخارجية باعتبارها جزءاً منها .

(ب) لأنه كان يعلم أن الانضمام إلى إحداهما يعني زوال عرشه واستبدال حكمه المتسلط بحكومة ديمقراطية ولذا قد وضع المهراجا أثناء التقسيم كل قادة المؤتمرين الوطني والإسلامي خلف القضبان. (٥)

عودة الوعي :

وهكذا عاش ٨٠% من الشعب المسلم مضطهداً من قلة حاكمة لا تزيد على ٢٠% وكان لهذا الأمر أثر بالغ في إحساس المسلمين بالمرارة والظلم فأدى ذلك إلى ظهور انتفاضات للمسلمين في تلك المناطق ، والمعروف أن المسلمين والهندوس في القارة الهندية تحالفوا معاً في معركة الاستقلال عن بريطانيا رغم التنافر والتناقض الديني وبرزت الدعوات بتشكيل دولة للمسلمين في المناطق ذات الأغلبية المسلمة وتأسست عام ١٩٠٦م الجامعة الإسلامية التي أخذت تطالب باستقلال الهند بالتعاون مع حزب المؤتمر الهندي الذي كان يتزعمه غاندي، ومع التعصب الهندوسي بدأ حزب الجامعة الإسلامية يتبنى فكرة قيام دولـــة مستقـلة منفصـلة للمسلمين . وفي إقليم جامو وكشمير اشتد اضطهاد الهنادكة للمسلمين الذين اجتمعوا وأسسوا حزباً عرف باسم " المؤتمر الوطني الإسلامي " تحت زعامة محمد عبد الله وضم الحزب بين صفوفه بعض الهندوس وحضر جلسته الأولى سنة ١٩٣٢م أربعون ألف شخص غير أن هذا الحزب اعتبر فرعاً لحزب المؤتمر الهندي وتم تشكيل حزب آخر عرف باسم حزب " المؤتمر الإسلامي الكشميري" بزعامة تشودري غلام عباس " الذي دعا من أول يوم عقد فيه اجتماع حزب إلى إنقاذ كشمير من براثن المهراجا الهندوسي هري سينغ وانضامها إلى دولة باكستان عندما تنشأ ولما رأى الهندوسي النجاح الذي حققه حزب المؤتمر الإسلامي والتجاوب الواسع بين سكان الولاية عملوا على تأسيس فروع لحزب المؤتمر الهندي في كشمير وذلك بالتفاهم مع المهراجا وذلك عام ١٩٣٩م وكان هدف هذا الحزب ضم الولاية إلى الهند كما عمل الهندوس على الوقعية بين الحزبين الرئيسين للمسلمين ، وهما :

١. حزب المؤتمر الإسلامي
٢. وحزب المؤتمر الوطني

وهذا ما دفع الزعيم الكبير لمسلمي الهند ومؤسس دولة باكستان " محمد علي جناح " أن يقوم بزيارة لولاية جامو وكشمير سنة ١٩٤٣م لرأب الصدع بين هذين الحزبين والعمل على ضمها معاً في حزب واحد كبير يشمل مسلمي جامو وكشمير إلا أنه لمَ يتمكن من ذلك لرفض محمد عبد الله هذا الأمر وكانت الحكومة الكشميرية تضطهد رجال حزب المؤتمر الإسلامي فاعتقلت كثيراً منهم ورفضت نتائج الانتخابات التي أجريت عام ١٩٢٨م في الولاية التي حصل فيها الحزب على أغلبية المقاعد بل رفضت أوراق ترشيح أعضاء ذلك الحزب وفي عام ١٩٤٤م قام المسلمون بثورة وقاطع الحزبان الكبيران في الولاية المهراجا ، فقبض على محمد عبد الله وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات فأرسل له الزعيم الهندي نهرو محامياً ليدافع عنه .

سياسة البريطانيين المدمرة :

اتفق البريطانيون مع حزب المؤتمر الوطني الهندي على أن تضم كشمير للهند وكان الهدف من وراء ذلك أن تصبح كشمير بؤرة الصراع المزمن بين الهند وباكستان وبالتالي لن تصبح هناك دولة قوية كبرى في شبه القارة الهندية تشكل تحدياً للمصالح التجارية والاستراتيجية للإنكليز في المنطقة وشهدت كشمير قبل صدور قرار تقسيم حركة مقاومة عنيفة نظمها المسلمون ضد ممارسات الطائفية للحاكم الهندوسي وقرر المؤتمر الإسلامي قبل صدور قرار التقسيم بأقل من شهر ضرورة الانضمام لباكستان وقرر الشبان المسلمون أن يقوموا بحركة جهاد لتحرير الولاية وضمها إلى باكستان وأمام هذا الوضع وقع المهراجا اتفاقا مع باكستان بان يبقى الوضع على ما هو عليه مع التعاون بين الولاية وباكستان وذلك لأن كشمير كانت تتبع قبل التقسيم السلطات المحلية الموجودة في مدينة لاهور التي انضمت إلى باكستان . وفي نفس الوقت ألف المهراجا عصابات وسمح لعصابات إرهابية هندوكية تسمى " آر. سي. سي. " و " الجان سينج

" و " الهندو مهاسبها " بممارسات عملية بشعة ضد المسلمين قتل خلالها عشرات الآلاف من المسلمين فقامت مظاهرات عنيفة من جانب المسلمين بقيادة " تشودري حميد الله خان " في ٥ سبتمبر ١٩٤٧م رداً على هذه الاعتداءات ، فتصدت لها الشرطة بالرصاص فسقط كثير من القتلى وهم يطالبون بالانضمام إلى باكستان . وفي سنة ١٦ سبتمبر ١٩٤٧م عقد مؤتمر الفلاحين الكشميريين وطالب بانضمام الولاية إلى باكستان ، لكنّ المهراجا رفض هذا الطلب وقام بتوزيع الأسلحة على الهنادكة فسار رجال القبائل من باكستان لنجدة إخوانهم الكشميريين ولما رأى محمد عبد الله الذي أفرج عنه المهراجا تأزم الأوضاع خشي من انفلات الأمور فأعلن وقوفه بجانب المهراجا وتسلم رئاسة الحكومة وقتل يومها من المسلمين حوالي ٦٢ ألفاً وفي هذا الأثناء فر المهراجا هري سينغ إلى الهند واستقر في دلهي العاصمة تاركا ولاية جامو وكشمير تغرق في بحار الدماء واستطاع المسلمون الكشميريون تحرير جزء من الولاية وقام المجاهد محمد إبراهيم في ٤/ أكتوبر ١٩٤٧م بتشكيل حكومة كشمير الحرة " آزاد كشمير" وتأليف الجيش الكشميري الذي استطاع أن يسيطر على كثير من المناطق ويقيم حكومة ، وعندما وجد المهراجا أن الأمور خرجت عن سيطرته وقدرته أراد أن يضرب ضربته الأخيرة ضد المسلمين الكشميريين فعقد مع الهند أثناء وجوده في دلهي اتفاقية في ٢٧من أكتوبر١٩٤٧م تتضمن انضمام الولاية إلى الهند ورغم أن هذه الاتفاقية المجحفة لايوافق عليها أغلبية الشعب وتتناقض مع اتفاقيته السابقة مع باكستان بالإضافة مع عدم تمتعه بالشرعية لإنتهاء المائة عام من الحماية التي نصت عليها اتفاقية امريتسار لأسرته ، فإنه أعلن انضمامه للهند لتبدأ فصول مأساة جديدة . مأساة جديدة وعندما حققت قوات الثوار المسلمين انتصارات في كشمير. واقتربت من مدينة سرينغر عاصمة الإقليم أرسلت الهند قواتها المحملة جوّا لوقف تقدم الكشميريين وكان برفقة هذه القوات المهراجا ووقعت اشتباكات بين الجانبين وأكد الزعيم الهندي نهرو في برقية بعث بها إلى حكومة باكستان أن الهند تتعهد بسحب قواتها العسكرية من كشمير بعد عودة السلام إليها وتعهد أن يترك لمواطنيها الحرية في حق تقرير المصير

وأعلنت الحكومة المؤيدة للمهراجا في كشمير أن من يرغب في الهجرة إلى باكستان فسوف تسهل له الحكومة الهجرة وتقدم له المساعدة وأن على راغبي الهجرة أن يجتمعوا في مكان واحد فظن الكشميريون أن الحكومة جادة في إعلانها فاحتشد المسلمون ، فأطلقت عليهم النيران بكثافة وسقط الآلاف القتلى وهتكت أعراض آلاف الشابات الكشميريات ومن ضمنهن إبنة تشودري غلام عباس مؤسس حركة تحرير كشمير. (٦)

أثر الصراع المبيد على سكان هذه الولاية

الصراع الذي بدأت بذوره المدمرة في سنة ١٩٤٧م عند تقسيم هذه القطعة الأرضية الكبيرة إلى قطعتين صغيرتين اللتان تعرفان باسم الهند وباكستان ، قد أحدث ضجة كبيرة في نفوس سكان هاتين المنطقتين وقد غير مجرى حياتهم وأفق فكرتهم وألقى بذور الشقاق والخلاف وقد علّم أولئك البسطاء صنوفاً من الخلاف والتباغض والتباعد والتحاسد فأصبحوا معاندين فيما بينهم وقد أقلق بالهم بعد فراق الأعزاء والأقرباء وانتشر وباء الوهم والظن السوء بينهم حتى لايوجد قرار وهدوء البال في هاتين البقعتين من الأرض فساد الوهن على عقولهم ودبت النكهة في مفاصل أعضائهم . أما السياسة الخسيسة السائدة في تلك الأيام قد لعبت دوراً ضاراً بالنسبة البسطاء الأبرياء من السكان الذين لايعرفون حقيقة الحقد والضغينة والمنفعة الذاتية الدفينة في صدور السياسيين الماكرين الخبثاء فهم الذين قد لعبوا هذا الدور الضار الفاسد الحاقد لإشباع رغباتهم الطائشة المفرطة ففازوا بمرامهم هذا .

فنشبت سلسلة الخلاف الدائم والشقاق المؤلم والبغض القائم والحسد الغائم لأن السياسيين الخبثاء الأغبياء قد نووا إكمال نيتهم وطويتهم المخبوئة بين طيات صدورهم وهي كالآتي :

أولاً : الوصول إلى السلطة المطلقة وكل واحد منهم تطلع إلى النفوذ الذاتي على المقاعد الحكومية وكراسيها ولاشك في أن هذه النية قد أدت إلى نتائج وخيمة حارة في جنة الله هذه في الأرض مثل القتل والفتك والهتك وهلاك المال والدمار الشامل .

ثانياً : الوصول إلى المطامع البغضية بسبب فقدان الإخلاص في نياتهم الخائنة تجاه هذه الولاية المثمرة الجميلة من بداية القضية إلى اليوم .

ثالثاً : الوصول إلى تلبيس الحق بالباطل أعني أنهم قد دلسوا في حقيقة الخلاف القائم في قضية ولاية جامو وكشمير وحرفوا الكلام الذي اتفق عليه زعيم الهند الكبير جواهر لال نهرو، في تحقيقه في بداية هذه المسئلة الخطيرة الأهمية . كما أنه قال : " إذا قال شعب كشمير بعد إجراء استفتاء عام صحيح: لا نريد أن نكون مع الهند فإننا سنقبله على رغم ما قد يسببه لنا من ألم ولن نرسل أي جيش ضده أو سنقبل ذلك مهما آلمنا وسنغير الدستور إذا اقتضى الأمر . "

رابعاً : الوصول إلى عدم انجاز الوعد في تسوية قضية ولاية جامو وكشميركما سويت قضية ولايتي حيدرآباد وجوناغار.

خامساً : مع أن السياسين قد وضعوا قاعدة أساسية لحل مشكلة هذه الولايات الثلاثة المتقدمة ولكنهم لم يلتزموا بمنهج وضعوه بأنفسهم .

هذه ماكانت النيات الغائرة في قعر السياسة القمعية ، والأحوال السياسية والاجتماعية والاضطرابات الطائفية والتشويش الذهني والفوضى الخلقية والشغب الفكري والقلاقل القبليى التي تتلقب ظهراً لبطن وبطناً لظهر وعان السكان في المنطقة مشاكل متنوعة عديدة الألوان والأوصاف وخاصة المرأة .

هذه هي الأطماع القاتلة المبيدة العدائية أثناء استقلال الهند وتقسيمها إلى قطعتين عظيمتين باسم الهند وباكستان . وقد تحمل هذه المشاكل جميع سكان هذه الولاية ولكن المرأة قد عانت أكثر من الرجال ولإبراز أحوال المرأة ومعاناتها

ومشاكلها قد كتبت المنعطفات الظالمة والتقلبات السياسية المدمرة والآراء الملتوية التي أسفرت عن تعقيد قضية هذه الولاية وقد عاونتني هذه التفاصيل في إبراز مدى تأثر المرأة بتقلبات الأحوال السياسية والاجتماعية في الولاية التي تتراوح بين السياسة القمعية والرذيلة الخانقة لجميع سكان ولاية جامو وكشمير والفترات المختلفة الدكتاتورية وهي :

في سنة ١٨١٩م قام حاكم البنجاب السيخي " رانجيت سينغ " بغزو الولاية وحكمها حتى سنة ١٨٤٦م وأذاق شعبها الويلات ففرض الضرائب الباهظة وأجبر الناس على العمل دون أجر وسنّ قوانين عنصرية ضد المسلمين وأغلق العديد من المساجد ومنع إقامة الصلوات فيها وكان دم المسلم أرخص من سواه في حين كان القانون يعتبر ذبح بقرة جريمة عقوبتها الموت . وفي سنة ١٨٤٦م قامت بريطانيا ببيع الولاية " لغلاب سينغ " بمبلغ ٧،٥ مليون روبية بموجب " إتفاقية أمريتسار" (مارس ١٩٤٦م) وذلك غداة الحرب الأولى التي نشبت بين الانجليز والسيخ ، وقد علق " بريم نات بزاز" على هذه الصفقة وهو أحد الوجوه السياسية المعروفة في الولاية بقوله: " مليونان من البشر بيعوا كما تباع الشياه والأغنام لمقامر غريب. دون أن يكون لهم أدنى رأي في الموضوع " . وأعقب غلاب سينغ ثلاثة حكام هو رانبير سينغ ١٨٥٨م وبارتاب سينغ ١٨٨٥م وهاري سينغ ١٩٢٥م الذي كان آخر حكام هذا النظام إلى تاريخ انقسام شبه القارة في سنة ١٩٤٧م . فقد تأثرت المرأة بهذه المظالم والعقوبات العدائية والقوانين الصارمة المتزلزلة للكواهل الناعمة الأنثوية وتحملت الضرائب الباهظة والقوانين التمييزية ، ولاشك في أن المرأة عنصر مهم ورئيسي للمجتمع وأنها منفعلة بسهولة وبأقل وقت. وسد سبل التعليم في وجوه السكان ومن بينهم المرأة وهي ربة البيت وربة الصغار الزغب والبذور المنتجة في البيت التي تعيش وتترعرع تحت رئاسة الأم الجاهلة المطلقة التي يقال عنها : الأم مدرسة ابتدائية للأطفال . وقد قام الحكام الدكتاريون بإغلاق هذه المدرسة وهذا الإغلاق قد أدت إلى انتاج قوم جاهل وهذه الجهالة أسفرت عن المهالك الخطيرة المميتة القاتلة للانسانية وهذا سبب مهم جداً

في سبيل انتشار الخلاف والشقاق والتباغض والتباعد والتنافـــر والتنكر بين سكان الولاية والمجتمعات المختلفة الدولية.

وليس هذا فحسب ، بل هؤلاء المسئولون يأخذون الجباية الذي كان قاسياً ، فبإضافة إلى أخذ ٥٠% من المحاصيل. أليس هذا ظلم ؟ أليس هذا عداء سافر ؟ أليس هذا عدوان صارخ؟ بلى . هذا ظلم وهذا عداء سافر وهذا عدوان صارخ .

والسؤال الثاني أليست المرأة من بين النفوس التي تعاني العداء السافر والعدوان الصارخ ؟ والظلم العظيم ؟

نعم ولاشك في أن المرأة من بينهم وأنها واجهت كل هذه الويلات والعقوبات للجرائم والأعمال التي ما اكتسبت يديها بل اكتسبتها الأيادي الخائنة والأذهان المخربة الدسيسة.

ولم ينته الأمر إلى هذا الحد بل تجاوز إلى أخذ الضرائب على النوافذ والمواقد وحفلات الزواج وعلى قطعان الماشية بل وعلى مداخن بيوت المسلمين . هذه هي المقتطفات من التاريخ المظلم قبل الاستقلال الذي مر به سكان هذه المنطقة وخاصة المرأة حاملة كؤوس دموع متدفقة على مآقيها وواضعة يدها على دقات قلبها السريعة العاجلة وعاشت في هذا الدور المظلم طامعة حلا لتسوية القضية في الولاية ولكن هذه السحب الكثيفة من الظلم والجور والتقلبات السياسية لم تنكشف . فقد شهدت المنطقة حوادث عديدة تم فيها حرق عائلات مسلمة بأكملها بحجة انتهاك القوانين ، كما أن عمال مصنع الحرير التابع للحكومة الذين احتجوا على الأجور المنخفظة في سنة ١٩٢٤م أغرقوا في النهر بأمر من المهراجا .

هذه الأحوال التي قد مرت بها المرأة متأثرة ومنفعلة أكثر من اللازم ومن معاناتها وتأثراتها :

أولاً : عانت المرأة ألم الفراق لأن البيع الذي قامت به البريطانيا لغلاب سينغ الذي أذاق شعبها الويلات والعقوبات وهذه الويلات والمظالم قد أثرت على ذهن المرأة

وعقلها وأنها ما زالت تعاني هذا الوجع والألم حتى نشبت الخلافات الطائفية في عصر راجا هاري سينغ ورانبير سينغ وبارتاب سينغ.

ثانياً : واجهت المرأة ألم القتل والفتك وهلاك المال والنفوس أمام عينيها في الفترة من ١٨٤٦م إلى ١٩٤٧م في الولاية.

ثالثاً : تجشمت المرأة الاضطرابات والمهالك والخراب والدمار الشامل في جميع ضواحي الولاية بسبب الخلافات والتفرقات السياسية والمفرقعات النارية في البيت أو خارجه.

رابعاً : تكبدت المرأة ألم الانتظار الشديد والحنين المشبوه للنتائج المثمرة للإتفاقيات المنعقدة بين الهند وباكستان مثل اتفاقية طاشقند واتفاقية شملا واتفاقية آغرة ولكن خاب وخسر ظنها .

خامساً : تحملت المرأة جميع المصائب والمتاعب الناتجة عن الاضطراب السياسي في ولاية جامو وكشمير وقد تأثرت المرأة بهذه المصائب والمشاكل أكثر من الرجال لأنها منفعلة ولأنها جزء مهم ورئيسي للمجتمع وكلما يحدث في المجتمع تصل به مباشرة، وستأتي تفاصيلها في الباب الخامس إن شاء الله العظيم.

الهوامش

١. تاریخ ڈوگرہ دیس (جموں و کشمیر) : دیوان نرسنگ داس نرگس ، رئیس التحریر " چاند " جموں، جنوری ١٩٦٧م

٢. التاريخ المعاصر " القارة الهندية " : محمود محمد شاكر ، المكتب الإسلامي ، دمشق . الطبعة الأولى ١٩٩٣م

٣. گلاب سنگھ بانی ریاست جموں و کشمیر ، دیوان نرسنگداس نرگس، رئیس التحریر " چاند " جموں، چاند پبلشنگ هاوس ، جموں

٤. مشكلة كشمير واحتمالات النزاع المسلح : جمـــــال الدين محمد علي، مجلة السياسة الدولية ، عدد ١٠١، يوليو ١٩٩٠م

٥. النزاع الهندي الباكستاني حول إقليم كشمير : باهر السعيد ، مجلة السياسة الدولية ، عدد ١٠٧ يناير ١٩٩٢م

٦. كشمير : ٤٠ عاماً بانتظار تقرير المصير : حسن أمين ، مجلة العام اللندنية ، عدد ٣١٢، ٣ فبراير ١٩٩٠م

٧. تاریخ جدوجهد آزادی کشمیر : پریم ناتھ بزاز ، سال اشاعت ٢٠٠٢م مترجم : عبد الحمید نظامی ، گلشن پبلیشرز فیر ڈیل مارکیٹ ریذیڈنسی روڈ ، سری نگر کشمیر

الباب الخامس

حالة المرأة المسلمة
في ولاية جامو وكشمير
و من معاناتها النفسية والجسدية

الآلام التي تعانيها النفوس في هذه الولاية :

جنـــــــة الأرض

لاشك في أن دراسة الحياة الكشميرية وبما فيها من متع وزخارف وجمال طبيعي ومعالم جغرافية مميزة وآلام ومخاوف ومصائب ومتاعب ومشاكل تتناوب تناوباً وتتمايل إلى كل من الجهات تجد السبيل إليها وتحليلها تحليلاً نفسياً توصلنا إلى نتائج مهمة لها صلة كبيرة بالوضع الإنساني الحاضر والعالم المعاصر والسياسة الخسيسة الهندية والباكستانية التي تعمل دائماً لإشباع رغباتهم المفرطة كما أن فيها دروساً عظيمة للعالم الإسلامي الذي يتهيأ اليوم للوثوب والانطلاق للتعويض عما فاته عبر القرون الماضية المتلاحقة وأخذ يبصر نهاره الساطع وراء السحب الداكنة والدخان المتصاعد من الفتن والثورات والآلام والمشاكل وآثارها العميقة في نفوس النشئ الكشميري الحاضر والتطـــورات وإن لم تتبين معالمه وتباشيره بوضوح ولكن أحب أن أقول: على السياسيين الذين يشوشون شئون الناس المعصومين الأبرياء البسطاء الذين لايعرفون المنعطفات السياسية المبيدة للإنسانية أن يردعوا أنفسهم عن ارتكاب الجرائم البشعة ضد سكان هذه الولاية قبل أن يفـــرغ كأس صبر الجماهير لكي لا يسيلوا في فراغ كأس هذا الصبر كما تسيل الحشائش والأعشاب الجافة على سطح ماء الفيضان حيث أنهم لايجدون فرصة الندامة والتلهف على ما انفلت من أيديهم .

إن الحيـــــاة الكشميرية على ما هي عليه منذ عشرين سنة ماضية ليست وليدة المصادفة ولا مفقودة النسب بل أنها قامت على أساس النوايا الغامضة والعزائم المبيدة من قبل الحكومة الهندية ورجـــال السياسة المدمرة الخادعة وعلى أصول قد زورت ومبادئ قد هدمت وتاريخ قد دُلّس بل أنها انتمت إلى جذور القضية التي ورثتها خلقياً وفكرياً ولها مقومات ونظريات خاصة لايمكن إهمالها والإعراض عنها كما فعل بعض زعماء الهند وباكستان والآن نحن في موقف الدراسة النزيهة والمعانات النفسية والذهنية .

لاشك في أن الصراع الطويل بين العلم والدين وبين السكان الكشميريين والسياسيين الهنود والباكستانيين دفع سكانها دفعاً قوياً إلى الأخذ بالأساليب المختلفة في حياتهم وأجبر على السكان أن يتخذوا وسائل عنيفة لاتحبها نفوس السياسيين الهنود والباكستانيين أيضاً ، لأن هذا الصراع لا يمنح لكسان هذه الولاية أن يجدوا قوة يومهم بسهولة وإذا وقع الخلل بينهم وبين قوة يومهم على الأقل اضطروا إلى اتخاذ وسائل العنفَ الشديد والأعمال المرهقة المضنية وأظن أنهم على حق بعد تحمل المشاكل المتنوعة الباهظة التي كانت أقدر على طاقة تحملهم بل أنها قد حثتهم وحرضتهم وهيئتهم للتفاني في سبيل مقاومة العداء الدائم وسد باب السياسة المتعصبة المليئة بالأحقاد القومية ضد أهالي الكشمير وسكانها للتخلص منها وللوصول إلى التحرير.

وظلت هذه النزعة تقوى على ما مر من الأيام حتى آل بها الأمر إلى ما نراها عليها الآن في هذه المنطقة الملتهبة المشتعلة المضطرمة وليس كل ذلك طبيعياً وواقعـــاً لامحالة ولكن خلقتها الأيادي التي لها أثرها البالغ في خلق جـــو الحقد والضغينة والبغضاء ناسية حق الشعب الكشميري والوعود الخلابة عند تقسيم شبه القارة الهندية ومراعاته ونتيجة لذلك الظلم والغصب تدهورت الأوضاع والأحوال في المنطقة طامعة في استرداد الحقوق المختلسة من الأيادي الحقيقية ، فاضطرمت النفوس ووقع الاضطراب الهائج واختلط الحابل بالنابل وبدأت الحرب التي لاتنتهي كما تتجلى معالم هذه النكبات والكوارث والخراب والدمار في حياة ولاية جامووكشمير منذ بدء هذا الصراع الغاشم إلى اليوم .

وكانت هذه النكبات لذيذة في البداية للذين أوجدوها لأهالي الكشمير ولكن الأمور قد انقلبت ظهراً لبطنٍ حتى أصبحت هذه المتاعب لقمة غير صائغة لآكليها ومن هذه النكبات نكبة الشبان المتهورين الذين لايبالون بالأخطار لأن النشاط والحرارة تدب في مفاصل أعضائهم الشبابية وكذلك يوجد فيهم التحمس والاندفاع والآمال والأحلام المتيقظة كما فيهم شوق رجل يريد أن يرتقي إلى قمة عالية من الجبل وهو يتوهم أن فيها معين الحياة الخالدة التي طالما تغني بها الشعراء في الشرق فهو في حنين دائم

مستمر لايعرف للسهر والتعب معنى ولايحسب لهما حساباً ويندفع إليها اندفاع الهائم او المفتون وهذه كانت حالة منطقة جامو وكشمير تماماً طوال هذه الحقبة من الدهر .

ولكن هذه النكبات والكوارث والحوادث تواجه أزمة عاطفية حادة لاتستطيع أن تعرف كنهها ولاتقدر على التخفيف منها لأن سكان هذه المنطقة الجملية يجدون ألمين عظيمين في قعر قلوبهم ، ألم موت النفوس التي تقبل دعوة " كل نفس ذائقة الموت " ، وألم غياب الأمن والسلام من حياتهم في هذه البقعة من بقاع العالم الجميلة المثمرة ، وهذان الألمان يجبران على مواطني هذه المنطقة أن يعيشوا كئيبين حزينين ويخلقان المشاكل المتباعدة الأضلاع ومتشابكة الأرواح والأذهان ويضيقان الخناق على أهالي الكشمير، وهذا الوضع الراهن قد أدى إلى الشعور بالفراغ الروحي والبطالة وكسد التجارة والملل النفسي والسآمة النفسية التي اعترتهم وطغت على سائر بيئات المنطقة فلم تخل منها مدرسة ولابيت ولامديرية ولا ولاية كلها أو بعضها بل عانى كل من يتنفس فيها صنوفاً من العذاب والآلام والاضطهاد وخاصة المرأة.

المرأة الكشميرية في البيت

أيها المقرؤون الواعيون العاقلون ، أولاً وقبل أن أخوض في صميم هذا العنوان و دقات القلب تتصاعد والفرائس ترتعد وترتعش والقلم يوشك أن يجمد ويجف ويمنع أن يتحرك بسهولة مثلما يتحرك في معظم الأحيان ولكن الأنامل تجبر على ذهني وتقسر عليه أن يقوم بإكمال هذه الأطروحة لأن القيام بمسئوليات أُلقِيَتْ على عاتقي أفضل شيئ لي في هذه الأيام .

والآن اسمعوا ووعوا ماذا تظنون أنتم أيها المقرؤون إذا ذكرت كلمة البيت أمامنا ؟ كلما ذكرت هذه الكلمة يذهب ذهننا إلى المقر الهادئ المطمئن يجد فيـــــه صاحبه القرار والسكون والهـــدوء والراحة والطمأنينة القلبية والبدنية والروحية ولكن هذه الأشياء بالنسبة للمرأة الكشميرية ذهبت أدراج الرياح لأنها لاتجد أي قرار وهدوء وراحة بال في بيتها وكلما تسمع دقات على الباب من قبل قارع مجهول، تخاف وترتجف وترتعد ارتعاداً شديداً حتى يجف ريق فمها ولعاب لسانها من شدة خوف قتلها أو هتك عرضهـــا في هذا المأوى الذي نسميه ونطلق عليه كلمة " البيت " لأنها لاتعرف من أين هذه الدقات على الباب أمن جانب المجاهدين الذين يأتون أصحاب البيت ويسئلونهم هل رأيتم الجيش أو العسكر في هذه المنطقة أو أن الجيش قد أتاكم وسألكم عنا أم لا ؟ ومن الممكن جداً أن تكون هناك المشاجرة الكلامية أثناء هذه التساؤلات أو الجبر والقسر عليهم لحمل الأثقال من مكان إلى مكان آخر أبعد من الطرقات المتلوية المتشعبة بين الجبال الوعرة والشجيرات الشوكية فالانكار من حمل الأثقال في معظم الأحيان يؤدي إلى التعذيب الشديد والمعاناة الأخرى البهيمية التي لم تكن في حيز الإمكان أن يتحملها الإنسان .

ماذا تظن أيها القاري هل هناك دور للمرأة تلعبه أثناء هذا الحوار العنيف أو ان تفرغ وتفيض الدموع على مآقيها الضامرة من خوف نفس الزوج إن كان ذلك الزوج أو الأخ إن كان ذلك الأخ أو الإبن إن كان ذلك الإبن فهذه المعاناة النفسية والذهنية لاتطيقها أن تحي حرة أو أن تجلس في ا لبيت ملكة بل تُقلق بالها في كل لحظة وآن .

أو هذه الدقات من جانب الجيش المسلح الهندي الذي في معظم الأحيان لايدق الباب بل يدخل البيت قسراً و جبراً وقهراً و ظلماً للتفتيش والفحص ويطرح على أصحابه أسئلة متناثرة من أفواهه عن المجاهدين هل جاءكم المجاهدون ؟ هل أكلوا الطعام في بيتكم إن أكلوا فلماذا أعطيتموهم الطعام ؟ هل بيتوا ليلاً في بيتكم ولماذا لم تمنعوهم من المبيت هنا؟ ولماذا أنهم قد أتوا بيتكم فقط ولم يأتوا بيت جيرانكم ومعنى ذلك أنكم تعاونونهم وتساعدونهم في هذا الأمر ولكن لا يفهم هذا الجيش ولا يقبلون أنهم يفعلون هذا قسراً وجبراً بل يبدؤن ضرب أصحاب البيت ضرباً ولكماً ولطماً وجذاءاً حتى إلى ارتماءهم على الأرض منهوك القوى .

ماذا تظن أيها القارئ هل يمكن للمرأة أن تدافع عن المضروب أو تقاتل مع الجيش الظالم المسلح أو هناك سبيل وحيد وهو أن تكضم غضبها ، وماذا تظن كيف كانت الهواجس تدور وتتردد في قلبها وذهنها وما هي التمنيات التي تجيش في تلاطم أفكارها المتشردة المتناثرة، وأظن لم يبق لها سوى السبيلين :

الأول : أن تجمع قواها وصبرها وتحملها وتتشجع وتتقوى ولاتخضع أمام هذه الأحوال المتلاطمة الدائرية وتسير مع أقدام الظروف والأوضاع المتزلزلة المترامية كتفاً لكتف ولاترتمي على قدميها متوسلة ومتضرعة خاضعة لها لأن الأجل المحتوم لايبقى أحداً ولكن ليس معنى ذلك أن تدعوه قبل آن الأوان تاركة مافي يدها ومستطاعتها بل عليها أن تتخذ جميع الوسائل الموجودة المتوفرة في يدها وسيطرتها أما ما في يدها أو خارج عن دائرة سيطرتها فوضه إلى الله .

والثاني : أن تفقد الصبر والتحمل والأناة وتتمادى في التفكر العميق والخيال والوهم وتترك زمام العقل الرصين والفكر الرزين والصواب السديد وتستعد لإنهاء حياتها على الفور وترتكب الانتحار والتفاني في هذا السبيل متوسلة ومضطربة أمام هذا الظلم العظيم والاضطهاد الجائر، وقد حدث مثل ذلك في كثير من القرى والمدن والمديريات والمناطق في هذه البقعة الأرضية الجميلة اسمياً الآن فقط. وقد حدثت حوادث الانتحار والقتل والفتك والجور والظلم في ولاية جامووكشميروخاصة في

القرى التي تقع قرب الحدود لأن القرويين المعصومين لايعرفون حقيقة أفكار الجيوش المسلحة المتلطخة بدماء الأبرياء والمثخنة بدهاء ومكر خلاب تخدع به هؤلاء الأبرياء وتقودهم إلى الدمار والخراب والفساد وتترك أولادهم بلا أب وأم لا كفيل لهم ولامعاون لهم.

وحدثت مثل هذه الحوادث بعد أن فشلت الجهود الجبارة والمساعي المتواصلة لتقويم الأوضاع والظروف وإذا لم يكن في حيز الإمكان تسديدها فبدأت المرأة تأخذ الأساليب المتنوعة لقتل نفسها قبل أن يؤذيها أحد من البغاة والجناة والمجرمين ومرة تأخذ المرأة قرصاً مسمومة ومرة تثب من سقف البيت وتارة تعلق نفسها بفروع الأشجار العالية أو بشئ آخر ، هذه هي الأساليب والوسائل التي تتخذها المرأة لأن تكون جثة هامدة لاحراك بها مجتنبة من أن تمسها أو تمسك بها الأيادي الخائنة هكذا تعاني المرأة معاناة نفسية وتعذيباً جسدياً وروحياً.

هذه هي حالة البيت في ولاية جامو و كشمير، والبيت بالنسبة لهذه الولاية بيت البكاء والأنين والألم والوجع وليس بيت للفرح والحبور والسرور والطمأنينة.

تطلعات أهالي الجامو والكشمير للمستقبل

لاشك في أن الإنسان مفطورعلى الحنين والتطلع إلى الهدف أيا ما كان ذلك الهدف وهو يجب أن يكون له يجري نحوه جرياً يتلذذ بهذا الجري المتواصل وإذا نال هذا الهدف أحب أن يكون له هدف آخر يستهلك قواه ومواهبه وطاقاته وأشواقه في سبيله، فالحياة في هذه الولاية ليست مريحة أو مكيفة اليوم والمواطن منها لم ينل كل ما يتمنى من قوة مادية وعزة قومية بل هناك له آلاما و أوجاعاً و أنيناً يعانيها. يُرى كل أسرة وكل بيت في الولاية يئن ويتألم ويتوجع في كل لحظة وآن لذكرى المفقودين الذين لم يرجعوا بعد أن أخرجوا قبل عشرين سنة أو أقل منها المرأة فقدت زوجها والزوج فقد زوجته والأخ فقد أخته وفقدت الأخت أخاها والأولاد فقدوا والديهم والوالدان فقدا أولادهما فكل منهم يجد ألم فقدان الآخر، فكلماً واحد يمر بالسكك والأسواق والأحياء

يتذكر المفقودين المحبوبين وهذا الذكرى قد تغيم على ساحة أذهان سكان الولاية كما تتغيم السحب على ساحة الفضاء الخالي من العمران فإنهم يبدون لكم كأنهم شاردي الذهن وفقدوا شيئاً ولانعلم ما هذا الشئ ؟ وهو خطير أعقب كل ذلك الخلل والاضطراب والقلق والإرهاق والملل والسآمة والفراغ الروحي الرهيب المبيد لحياة هذه الولاية وملأتها مخاوف وهواجس من مصيرها ولكن هل تعرف مصيرها ؟ كلا! إنها إذا حيرة، حيرة صامتة استبدت بالحياة في الولاية أو مست كل فرد من أفرادها من غير أن يعرف من أمرها شيئاً...

إن مثل هذه الظواهر والحوادث في كل ناحية من نواحي الحياة تسربت في أجزائها ولو استقصينا ما وقع بالأمس القريب ويقع اليوم هو طابع الحياة الأصيل في الوقت الحاضر. ونقرأ أخبارها كل يوم في الصحف والجرائد وإن نمر بها مرّاً سريعاً . والآن أقدم بعض المقتطافات في اللغة الانجليزية من قبل لجنة النساء الدولية للأمن والحرية (Women's International League for Peace and Freedom) فأحب أن أقدم هذه الأنباء التي اختطفتها من الصحف اليومية المختلفة في اللغة الانجليزية حسبما وجدتها في ملف هذه اللجنة لأن هذه الأنباء قصيرة قصيرة ولكنها تظهر منظر حالة المرأة في السنوات المتعددة الماضية من سنة ٢٠٠٢م إلى سنة ٢٠٠٧م :

WOMEN, PEACE AND SECURITY NEWS ARCHIVE: KASHMIR
Resources | Organizations | Initiatives | Kashmir Index|Latest South Asia News

| 20022003 | 2004 | 2005 | 2006

2006

WOMEN WORST SUFFERERS IN JAMMU AND KASHMIR
December 1, 2006 – (Hindustan Times) Women in Kashmir are caught between two guns - terrorists and troops - Prof Seema Shekhawat, research assistant PoK Project said on Friday at Centre for Strategic Studies and Regional Studies, Jammu University.

CAN WOMEN PLAY PEACEMAKERS IN KASHMIR?
August 6, 2006 – (IANS) Can women don the role of peacemakers in the strife-torn Kashmir Valley? Can they succeed on the peace table where the men have let them down? Yes and no. While most speakers at a two-day convention on 'Women in Dialogue: Envisioning the road

ahead in J&K' drew a picture of near utopia once women became more politically conscious in the state, there were some who were more than a little critical of their roles.

KASHMIR PROTEST OVER TROOPS' ALLEGED ABUSE OF GIRL
May 27 (Reuters) - Hundreds of people demonstrated in Kashmir on Saturday against the alleged molesting of a teenage girl by Indian soldiers, witnesses said.

2005

STRIKE IN KASHMIR OVER ARRESTS OF WOMEN SEPARATISTS
September 8, 2005 – (Reuters) Shops, schools and businesses were closed on Thursday in Kashmir's main city Srinagar in response to a strike call to protest against the arrest of women separatists.

KASHMIR WOMEN FIGHT 'OBSCENITY'
August 31, 2005 – (BBC News) Eight veiled women gather outside a shop selling alcohol on the ground floor of a hotel in Srinagar, in Indian-administered Kashmir and start ransacking it.

KASHMIR'S WOMEN COUNCILLORS RARING TO GO
May 12, 2005 - (OnlyPunjab.com) Of diverse backgrounds and ages but articulate, assertive, educated - they are the new women councillors of Jammu and Kashmir who defied the gun to enter public life, determined to change things for the better.

WITHOUT TRACE
April 30, 2005 (Independent News) After years of conflict, Kashmir finally has hope. But that's no comfort to the wives of the disappeared. Justin Huggler meets the 'half-widows.'

2004

HOSTAGE DRAMA ENDS IN J&K; WOMEN RESCUED
September 3, 2004 - (The Hindustan Times) Security personnel on Friday evening rescued two women, who were held hostage by terrorists for two hours in a mosque at Sheendhara village in Poonch district of Jammu and Kashmir, official sources said.

114 KASHMIRIES KILLED BY INDIAN TROOPS DURING AUGUST IN INDIAN OCCUPIED KASHMIR
September 2, 2004 - (Paknews) In occupied Kashmir, the Indian troops in their continued acts of state terrorism, martyred 114 Kashmiris including five women and three children, in the outgoing month of August.

TEENAGER SHOT DEAD IN KASHMIR VILLAGE
September 2, 2004 - (IANS) A teenager was shot dead and his mother and younger sister were critically wounded by terrorists in a Jammu and Kashmir village.

MILITANTS BEHEAD WOMAN IN KASHMIR
August 28, 2004 - (IANS) Terrorists abducted and brutally killed a young woman by chopping off her head in Jammu and Kashmir, police here said Saturday.

KASHMIR WOMEN'S BILL VOTED OUT
August 27, 2004 - (BBC) Parliament in Indian-administered Kashmir has rejected a bill withdrawing the permanent resident status of women who marry a non-permanent resident.

WOMEN IN MILITANTS' LINE OF FIRE, OVER 1,000 KILLED
August 18, 2004 - (Hindustan Times) It has been a particularly bad year for women in Jammu and Kashmir. So far, 53 women — mainly relatives of surrendered militants, informers and security personnel — have been brutalized and killed till August this year. These are official records, but the exact figures are more shocking.

HIGHLIGHTING HUMAN RIGHTS ABUSES IS REAL WEAPON Of KASHMIRIS: BRITISH MP
August 13, 2004 - (PNS) Kashmiris must have a united voice to highlight human rights abuses in Indian held Kashmir as it is their "real weapon" to internationalize the issue,said British MP Khalid Mehmood here late Wednesday.

180 WITH 24 IN CUSTODY MARTYRED DURING JULY IN KASHMIR
August 1, 2004 - (Kashmir Media Service) In occupied Kashmir, the Indian army continuing its state terrorism, martyred another 180 Kashmiris during the month of July 2004 including 173 men, 2 women and 4 children. Twenty four Kashmiris were martyred in custody.

FEAR OF UNIFORMED MEN
July 30, 2004 - (Greater Kashmir) Bihadijalan: The residents of this village claim that it is the last inhabited place in Kulgam area of South Kashmir. Nestled at the heels of Pir Panjal mountain ranges, this beautiful hamlet of nearly 225 families is without electricity, water, road, dispensary and many more basic amenities. The villagers demand none of these but the 'deliverance from the mortal fear of the commandant and soldiers of Eagle Company of 9 RR's Dhaneve camp.'

WOMAN BEHEADED, SIX KILLED
July 29, 2004 - (SA) Suspected Islamic rebels decapitated a woman in Indian Kashmir and left her head hanging in a tree, police said on Thursday, adding that six other people were killed in the restive state.

WOMEN PAY HEAVY PRICE AS KASHMIR MILITANTS TARGET THEM
July 27, 2004 - (IANS) The women of Jammu and Kashmir are paying with their honour and lives as terrorists target the families of those who they feel have betrayed them.

WAR WIDOWS FIGHT FOR THEIR RIGHTS
July 25, 2004 - (The Hindu) Sapper Mohammad Javed of Rashtriya Rifles died fighting militants during Operation Rakshak in the Kupwara sector of Kashmir in October 2001 and now his young widow, Afroz Bano, is fighting a lone battle for survival... . and for her rights.

FOUR MILITANTS, TWO SPOs KILLED
July 25, 2004 - (The Central Chronicle) Four militants and two Special Police Officers were killed and six others, two of them women, were injured in militancy-related violence across Jammu and Kashmir, a police spokesman said here today.

REBELS IN KASHMIR KILL FIVE IN EX-SOLDIER'S FAMILY
July 20, 2004 - (Reuters) Suspected Muslim insurgents killed a retired soldier and four members of his family, including his five-year-old son, in Indian Kashmir on Tuesday, police said.

TWELVE KASHMIRI VILLAGERS SHOT DEAD AHEAD OF TALKS
June 26, 2004 - (Reuters) Suspected militants shot dead at least 12 villagers, including four children, in their sleep in Indian Kashmir Saturday, a day ahead of talks between India and Pakistan over the disputed Himalayan region.

MUSLIM WOMEN WORST SUFFERERS OF J&K PERMANENT RESIDENT BILL
April 16-30. 2004 - (The Milli Gazette) Permanent Resident (Disqualification) Bill 2004 of Jammu and Kashmir has become the major controversy and election issue in the state. The issue has been submerged into quagmires of distorted facts, half-truths and ignorance. The commentators in the national media, who mixed it up with irrelevant and extraneous issues, have added to the confusion.

2003

KASHMIRIS LOOK TO A WOMAN FOR RESOLUTION OF STRIFE
January 24, 2003 – (WeNews) In the disputed territory of Jammu and Kashmir, politician Mehbooba Mufti is seen as a healing force for a traumatized populace. Women survivors, she says, can only rebuild their lives if their rights are re-established.

2002

WOMEN IN KASHMIR, CITIZENS AT LAST
December 9, 2002 - (Women's Feature Service) Until recently, women in Jammu and Kashmir (J&K) were denied equality and justice because an archaic law held that a woman ceased to be a subject of the state if she married a non-J&K resident. This meant that she lost her right to own property, continue in a government job and vote in elections. A number of prominent women suffered because of this discriminatory law. Now, after a 25-year legal battle, the J&K High Court has ruled in favour of women. "Women's groups have for long been conscious of the fact that there is a deliberate campaign by the men in power to link a women's issue with sensitive ones like `special status of Jammu and Kashmir'."

The opinions expressed in the articles carried by this site are those of the authors and are not necessarily shared by the Women's International League for Peace and Freedom, PeaceWomen Project.

هكذا تململت المرأة في هذه الولاية تحت رئاسة هؤلاء السياسيين الذين قد شوهوا معالم الطريق المنورة وفتحوا الفتيحات الصغيرة من السبيل القويم التي أصبحت الآن الفتحات والثقوب الكبيرة الحجم ولم يتمكنوا من إغلاقها .

عدة أيام في ولاية جامو و كشمير لملإ الاستبيان

يوم كان الناس يتحدثون عن الجمال الطبيعي الذي كساه الله تعالى جبال وأودية ولاية جامو و كشمير وكانوا يفيضون في الحديث عن مفاتنها الساحرة والاطلاع على تلك المفاتن ومازال هذا الدافع يعتلج في صدورهم ويشتد الحنين إلى زيارة كشمير الساحرة الفاتنة ولكن دون جدوى وهم في هذا التطلع إليها حتى اضطرمت هذه المنطقة بسبب التوتر السياسي في الولاية فأصبح هذا الحسن الطبيعي الذي طالما تتفاقده المصايف العالمية الكثيرة بلا معنى لأن الإضطراب السياسي وفقدان الطمأنينة النفسية والذهنية قد سادت على أذهان الناس في الولاية ولكن المنة من الله تعالى القدير على عباده ودعوة منه إلى التفكير فيما أودعه الله سبحانه وتعالى من آياته الباهرة في الخلق كله ، وما ذلك إلا لكي ينزاح ستار الغفلة عن القلوب والعيون ولا يسع الإنسان إلا الإيمان بالخلق والأمر وبتدبير الأمور كلها وبالقدر العظيمة التي لايملكها إلا الله الواحد القهار وأيقظ الله الناس عن سباتهم العميق ونفض غبار كسلهم وأرشدهم إلى الحصول على الحقوق الإنسانية المختلسة من الأيادي الحقيقية وبذل الجهود المخلصة البناء لخدمة هذه الولاية وتشييد بنيتها الأمنية وتأمين شرائحها الشعبية التي لاتريد إلا العيش في ظل الأمن والسلام بغاية من الهدوء وبدافع من البناء والتعاون مع أولياء الأمور إلا أن الظواهر المضادة التي تجلت من خلال تدخلات قامت بها بعض الجهات السياسية عرقلت طريق السلم وحاولت دون حل المشكلة فظلت المنطقة تعيش في القلاقل على جميع المستويات ولم يتمتع سكانها بالعافية المطلوبة إلى مدة طويلة.

أقلق هذا الوضع الشاذ الجانبين كليهما وأثمر ثماراً مُرّةً ذاق مرارتها كل من الهند وباكستان إلى أمد بعيد وكان من لطف الله سبحانه وتعالى أن اتفقتا على حل المشكلة والجلوس حول مائدة واحدة للبحث عن الحل للمشكلات والتوتر والتأمل في جميع النواحي اللازمة والنقاش فيها ، ومازالت المفاوضات الجدية مستمرة حول القضية وقد تمت هناك موافقات على كثير من الشئون مما له علاقة بصميم القضية ونتيجة لذلك فقد عاد جو من الأمن والهدوء بين الشعبين ويرجي أن ترجع الأمور إلى

نصابها بمشية من الله تعالى ، ولكن الجولة الحالية التي قام بها الوفد العسكري الإسرائيلي لكشمير تثير تساؤلات في نفوس الناس.

كنت في ولاية جامو وكشمير في الأسبوع الثالث من شهر ديسمبر ٢٠٠٧م وتيسرت لي زيارات المدارس والكليات ومراكز التعليم والتربية شعبية منها ورسمية وجولات في الأحياء الشعبية والأمكنة العامة واللقاء مع رجالات العلم والدين وقد زرت أثناء هذه الفرصة في ولاية جامو وكشميرجامعة كشمير العتيدة وناقشت مع الأساتذة هذا الموضوع منهم سعادة الأستاذ الدكتور منظورأحمد خان رئيس قسم اللغة العربية وأنه قد عانني في ملأ استبيان والدكتور عبدالرحمن واني وزملاؤهما من أساتذة قسم اللغة العربية وحينما كنت على وشك التحرك من الولاية الجميلة قد جالت في خاطري الأشياء التالية :

١. المصالح السياسية والاجتماعية التي اضطرت أولياء الأمور في الحكومة إلى حشد جنود مكثفين في هذه الولاية للصد عن تدخلات سامية تقوم بها الدولة المجاورة باسم حرية الرأي وإعطاء فرص للشعب لتقرير المصير وربطه بأي جانب يركن إليه وقد استمرت هذه العملية إلى أطول مدة وانتهزها خدمة المصالح الذاتية من الإستغلاليين وتزعموا القضية لمجرد كسب الشهرة ولصالح أنفسهم من غير أن تكون لديهم خطة لحل مشكلة الحدود وإنقاذ الشعب الكشميري من المتاعب التي يعاني منها والتي تتولى تعقيد الأمور وانحدارها إلى أسفل درك من الانتهازية التي جعلت سكان هذا الجزء من الأرض في ارتباك وقلق بالغين وسلبت منهم قوة الإعتماد على الذات والخروج من أزمة السياسة والاقتصاد والتعليم التي أخذت منهم كل مأخذ وتخلفت بهم إلى أقصى درجة من التخلف في كل مجال رغم ما يملأ هذا الجزء من الخيرات والثروات الطبيعية من كل نوع ويكفي لإثراء شعب ولاية جامو وكشمير في جميع مجالات الحياة وإعطائه ميزة خاصة في المجتمع .

٢. هذا الواقع كان سبباً في الفقر الذي يعيشه الشعب المسلم في هذه الولاية وسوف لايوجد هناك من المترفهين والأغنياء إلا من يُعدون على الأصابع وهم مشغولون بأنفسهم وبإبقاء مكانتهم دون أن يهتموا بإخوانهم وماهم فيه من محن ومشاكل وما يحوم عليهم من أخطار من قبل المتطرفين والمتدخلين في شئونهم وفي خيارهم وتقرير مصيرهم والشعب لا يقصر في السعي وراء ما ينفعه في حل المشكلات الاقتصادية من صناعة وتجارة وزراعة تتولى إقامة صلبة في عسر وتضايق ومن ثم يعيش المترفون في واد ، والفقراء في واد آخر من غير أي تناصح وتناصر فيما بين هذين الصنفين ووجود جسر يصل به بعضهم ببعض وذلك من غير شك نذير خطر كبير على المجتمع المسلم الذي قلما يوجد مثله في بلد آخر وذلك ما حرفه الفهم الصحيح للدين والاعتناء البالغ بالعقيدة الدينية وتعاليمه الشاملة للحياة.

٣. مما أثار نقمة طبقية الأمية الفاشية في جميع قطاعات الشعب وقلة الوسائل للتعليم في المدارس والكليات والجامعات ومراكز العلم والتحقيق ولعل ذلك جاء من فقدان الاهتمام بالتعليم وقلة الحرص على التقدم في هذا المجال وعدم الشعور بأهمية العلم ومكانته في رفع رأس الأمة ودوره في الاعتراف بقدرته على تغيير الظروف والأحوال والواقع الذي جعل جيل الشباب الناهض المسلم يعيش سفاسف الأمور ويتيه في الشوارع والطرقات بدون مبالاة برقابة الدين أو خوف من الضمير فضلاً عن أن يعرف دوره في بناء الإنسان وتمثيل السيرة الإسلامية في جميع الشئون الحيوية والجمع بين الدين والدنيا بإتزان وتساو كاملين.

وذلك هو السر فيما إذا كانت هناك جهود مضادة لإستلاب هذا الجمال والسيطرة عليه وإثارة القلاقل وفرض ظروف شاذة على

المجتمع في هذه الولاية حتى لايمكنه أن يعيش في بلده وبيته بهدوء القلب وطمأنينة النفس وعلى ذلك تتدخل المعسكرات العالمية في هذه القضية وفي تعقيدها بحيث لاتجد له حلاً شافياً مقنعاً رغم أن الجانبين كليهما لايبغيان إلا البقاء في القسم الذي قدر له ويترقبان اليوم الذي يتم فيه حل هذه المشكلة ويعلن بذلك على المستوى الحكومي والشعبي وتتوقف الحركات التدخلية التي تنغص صفو الحياة وتفشل المجهودات السلمية وتمهد الطريق نحو الحيرة والشقاء والتيه والحرمان. (١)

لا حل إلا في ضوء العدل والنصفة ولا قضاء بحكم إلا بما يرضاه الجانبان كلاهما ولايتحقق الأمن والسلام إلا بربط المصير بالحق والعدالة الاجتماعية المعترف بها دوليا ، وهكذا عانت المرأة ما عانت من المصائب والآلام في قلبها فإذا اندملت هذه الجروح القلبية بدأت تئن بضغط الاضطرابات السياسية لأن الكبس السياسي المدمر قد أدى إلى تعدد الفرق السياسية وتعدد الفرق السياسية قد اسفر عن تعدد الآراء والأفكار في أذهان سكان هذه الولاية وهذا التوتر السياسي خطيراً لمواطني هذه الولاية وتحت ظل هذه السياسة الخسيسة أصبحت المرأة نصف أرملة ونصف أم ونصف أخت وشاهدت هذا المنظر المؤلم بعينيها المذروعتين الواسعتين ومعنى هذه الكلمات هناك عدداً كبيراً من مواطني هذه الولاية الذين خرجوا من البيوت ولم يرجعوا إليها وقد مضى عليهم أكثر من خمس سنوات أو عشر سنوات فلذا الأم حنينة ومشتاقة إلى لقاء الإبن والزوجة متمنية لرؤية زوجها والأخت شائقة لمقابلة أخيها ، ولكنهن في نصف الطريق إليهم وهذه الأمنيات تغلي وتثور في صدورهن حتى اليوم فلأن هن يعشن بين رجاء ويأس وبين تمن وقنوت.

هـــذا ما شاهدته في منطقة جامو وكشمير أثناء زيارتي لها لملإ الفراغ في أوراق الأسئلة التي تتعلق بموضوعي. ولقيت كثيراً من العائلات البائسة التي أخبرتني بأيامها ونهارها وكيف تسير حياتها اليومية لايرى الأولاد فيها وجه أبيهم ولاترى الزوجـــــة زوجهـــــا وهؤلاء العائلات يفتقرن إلى المساعدة المالية وغيرها . ولقيت أثناء هذه الزيارة امرأة يترواح عمرها بين الثلاثين والأربعين عاماً وحينما طرحت عليها بعض الأسئلة فقالت: " كنت مع زوجي فرحة ومسرورة إذ فاجأتني الغائلة والمصيبة وخطفت زوجي تاركة بيتي غير عامر وأنه خرج بعد العاشرة من الليل قبل خمس سنوات ولم يعد حتى الآن وله ست بنات وليس لي أي معاون آخر يقوم بكفالة هؤلاء البنات ولا أدري ما هو المصير أما أنا فأعيش وأموت كل يوم.

ولقيت أسرة أخرى وسألتها عن حالة المرأة الراهنة والغابرة في هذه الولاية؟ فقالت : " كلما يدور منظر ذلك الزمان أمام عيني حينما تمر المرأة في ضواحي هذه الولاية متزينة بالحلي والجواهر الغالية بالسكك ليلاً بدون أي خطر وخوف ورعب يبدو ذلك المنظر والمشهد كسراب خادع لايسد عطش العطشان فذلك المنظر أصبح قصة الماضي وخبر كان أما الآن فليس من الممكن للمرأة أن تتحرك تحت ضوء الشمس الساطعة . "

كذلك ناقشت مع باحثة شابة في جامعة كشميرهذا الموضوع : فقالت : " قد تخلفت المرأة في هذه الولاية تخلفاً كبيراً ولم يكن لنا التغلب على هذا خاصة في التعليم والحقوق الاجتماعية ، وسألتها عن سبب هذا التخلف فأجابت قائلة : التوتر السياسي والنيات الخائنة والعيون الطامعة لنهب الثروات الطائلة المتوفرة في المنطقة ، وأضافت قائلة : هناك عدد كبير من البنات اللاتي يرغبن في الحصول

على التعليم ولكن الآباء لايسمحوا لهن للخروج لكي لا يجلبن العار على عائلتهم بسبب الأوضاع المضطربة المتوترة في المنطقة .

أما الآن والحمد لله قد بدأت الأوضاع تهدأ وتسكن فنتمنى أن تكون الطريق ممهداً أمام سكان هذه الولاية ليروحوا عن نفوسهم متاعب هذا السفر الوعر من المشاكل والمصاعب التي تجمشها الناس في الولاية، لأنهم قد سئموا وملوا وتعبوا عن هذه المفرقعات النارية وتفجر القنبلات النارية والصواريخ المدوية قرب مساكن هؤلاء السكان وللأهالي في المنطقة .

المرأة نفسها كفيلة بضياع حقوقها في المجتمع الحاضر باسم الحرية الزائفة المضللة

ولعل أخطر ما تواجهه المرأة في الهند هوالمحاولة التي ترمي إلى كسر الحاجز القائم بينها وبين الرجل حاجز العرض والعفة والخلق الذي يحمي المرأة من السقوط والانهيار إن هناك محاولات ضخمة من خلال المسرح والسينما والقصص الماجنة والكتاب النسائيين تهدف كلها إلى تحطيم هذا الحاجز حتى تسقط الأسرة وتتحطم الأمومة وينتشر طابع الخيانة الزوجية في أعراف المجتمع لكي لايرفع الصوت ضده أساساً على أنه من الأعراف ولاريب أن المرأة المسلمة اليوم قد عرفت حقها في الدنيا ورسالتها في المجتمع ولكن لها أن تعرف حقها في القرآن والسنة النبوية ورسالتها في التعاليم الإسلامية وكذلك لم تكن قادرة على معرفة الكتاب والسنة ولم توفق في هذا السبيل مع أن هذه المعرفة كانت واجبة عليها وبدون هذه المعرفة الدينية والشرعية لا ملجأ لها لا في الدنيا ولا في الآخرة .

يجب على المرأة المسلمة أن تعرف هذه المؤامرة حتى لاتخدع بمعسول الكلام ولعل أول ما يقدم لها في هذا الشأن هو تجربة المرأة نفسها في المجتمع المعاصر وهي تجربة قاسية عنيفة بعد أن انحرفت الحضارة الهندية بالمرأة انحرافا طائشاً عن المسار الحضاري السليم متأثرة بتأثرات الغرب ، حتى وصف بأنها تقوم بذلك بعملية انتحار حقيقية وقد أكد علماء الهند المنصفون أن انقاذ المجتمع لايتم إلا بالقضاء على أسباب الانحراف التي أدته إلى هذه الفاجعة وتبدو عوامل الانحراف في الآتية :

١. انتشار أقراص منع الحمل بدون رقابة أدى إلى انتشار الصلات الجنسية المحرمة (الزنا) دون تحفظ ولاخوف فتزعزعت أركان الأسرة ولم تعد فتاة الحضارة الهندية . ومثلها الشباب – ترى أن في الزواج وتكوين الأسرة ضرورة اجتماعية .

٢. انتشار ظاهرة الهيبية والخنفسة وانتشار الأزياء الفاضحة والسماح دون تحفظ بالمزيد من الإباحية في السينما والمسرح والصحافة.

٣. انتشار المخدرات بجميع أنواعها وأشكالها أدى إلى تورط شباب الحضارة الهندية وفتياتها في الجريمة والإباحية وأدى إلى فقدان الثقة بالمثل والأخلاق فاصبحوا يجاهرون بل يتفاخرون بمعاداة المجتمع والقانون.

وحالة المرأة الهندية لاتقل عن حالة المرأة الغربية لأن الأمراض الجنسية تزيد يوما فيوماً في المجتمعات الهندية عما كانت عليه قبل عشرين سنة ويرتفع عدد المصابين بالسيلان القيحي بين ذكر وأنثى، هذا فضلاً عن انتشار الأمراض الجنسية بين طلاب وطالبات المدارس المختلفة كذلك أشارت الأبحاث إلى أطفال القرن العشرين البؤساء الذين هجرتهم أمهاتهم وأضافت هجرهم عقوبة أخرى هي اليتم لأن الطفل الذي يحرم من أمه هو طفل يتيم ولايمكن أن يعوضه عن افتقاد الأم أية أم أخرى صناعية أو مستعارة كذلك كان الأطفال

الذين تخرج أمهاتهم للعمل يكونون أقرب إلى اللقطاء واليتامى لأن الأم تريد بعد العمل أن تتفرغ للهوها فتلقي الأطفال في أحضان الخادمات الجاهلات القاسيات أو دور الحضانة التي أصبحت مهنة تجارية رابحة وليست دوراً للتربية. (٢)

خطأ المرأة الأكبر في سبيل المساواة والحرية

مما لاشك فيه أن دفعت المرأة ضريبة فادحة وثمناً باهظاً للتطور ويكفي أن أشيرهنا في إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذي شوه نهضتنا وأعني به انحراف المرأة الجديدة المعاصرة عن طريقتها الطبيعية وترفعها عن التفرغ لمانسميه " خدمة البيوت وتربية الأولاد " و ذلك لأن الأمة لم تخرج فتياتها من دورهن لتسد بهن فراغاً كانت تشكوه في ميادين الأعمال وإنما أرادت أن تجد فيهن الأمهات المستنيرات المثقفات وها هي اليوم ترى البيوت منهن مقفرة خلاء أما الأبناء فتركوا للخدم وبلغ من سوء ما وصل إليه الحال وفي الحقيقة أن المرأة قد فهمت الحرية فهماً معكوساً في ظل الحرية الزائفة التي تحرر المرأة من الآداب والأخلاق ورأت فيها قيوداً يجب تحطيمها وفي ظل هذه الحرية الزائفة داست المرأة أقدس واجباتها كزوجة وأم وربة منزل فتهدمت تلك الأصول الثلاثة التي تبنى عليها حياة الأسرة وسعادة المجتمع.

وتقول السيدة : " لبيبة هاشم " في هذا الصدد أو لسنا نرى عيوب المدنية الأوربية التي بدأت تجر أذيالها فتنكس آثار الحشمة في طريقنا أو لسنا نشعر بريحها المسمومة التي تهب من الغرب فتذرو في عيوننا رماداً تعمى به أبصارنا ما أهمية الشعر مجزوراً أو مترسلاً أو معقوصاً أو مضفوراً إذا كانت الرأس لاتحوي عقلا وعلماً . (٣)

بل إن قاسم أمين نفسه بعد أن كتب كتابه : " تحرير المرأة " و " المرأة الجديدة" قد غير رأيه إذ رأى النتائج العكسية لما دعا إليه فقال في تصريح نشرته جريدة الظاهر

في شهر أكتوبر ١٩٠٦م " لقد كنت أدعو إلى اقتفاء أثر الترك بل الأفرنج في تحرير نسائهم وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهن إلى تمزيق الحجاب وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم ولكنني أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس فلقد تتبعت خطوات النساء في كثير من الأحياء لأعرف درجة إحترام الناس لهن فرأيت من فساد أخلاق الرجال – بكل أسف – ما حمدت الله على خذل من دعوتيَ ، استنفر الناس إلى معارضتي ، لهذا لا أجد الوقت مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصدته من قبل .

حقوق المرأة الشرعية

ما بين الإهمال والإعمال في هذه الولاية

إن نذهب إلى هذه الحقوق الشرعيـــــة التي ما بين الإهمال والإعمال نجد المرأة على مفرق الطرق المثلثة حسب الأحـــوال الجغرافية والطقوس الموجودة في المناطق الثلاثة :

١. منطقة جامو

٢. منطقة كشمير

٣. منطقة لادكية (لاداخ)

ولكل منطقة لها طقوس خاصة ومميزات جغرافية ملائمة لها أما منطقة جامو فهي عاصمة شتوية لهذه الولاية ويعيش سكانها المدنيون في ازدهار اقتصادي ويقضون حيـــــاة مليئة بالملذات والأفراح أما القرويون فيحيون حياة قاسية مليئة بالمشاكل والمتاعب المتنوعة ، المرأة المدنية متقدمة جداً في جميع مجالات الحياة خاصة في التعليم وفازت بمناصب حكومية دسمة وأنها متيقظة من حقوقها ومراعاتها التي قد منحتها من الشريعة ومن قبل القانون الحكومي.

أما المرأة القروية من المنطقة المذكورة فهي متخلفة جداً في جميع مجالات الحياة القاسية وتعمل طول النهار أعمالاً رجالية ونسائية سواء بسواء وهي محرومة من معظم الحقوق التي قد منحتها لها الشريعة الإسلامية وهي لاتعرف أ لها حقوق في الشريعة البيضاء السمحاء ؟ أم لا؟ وأنها تقضي يومها وليلها وتستمر في سيرها عمياناً .

الإرث :

هي محـــــرومة من حق الإرث لأن العادات السيئة والأعراف السائدة في المنطقة قد تكون حاجزاً في إعطاء المرأة هذا الحق . وبعد الاستعراض الذي قمت

به وجدت في تفاصيله التي كتبتها النساء من سكان هذه المنطقة أن أكثر من سبعين في المائة لايجدن الإرث في هذا المجتمع وبعد أن سألتهن عن سبب ترك هـــذا الحق وجدت أن الأمية الفاشية والجهالة الضارة سائدة في هذه البقعة من الأرض، والآباء في الأرياف لايعرفون أهمية هذا الحق الشرعي ويقتصرون على إعطائهن بعض الأشياء في وقت الـــــزواج ويفهمونها تأدية هذا الحق الإسلامي الذي لايسقط إلا بأسباب قاهرة شرعية ، وأما الذين يعرفون أن الإرث حق من حقوق البنات وفإنهم لايعطونهن لأن العادة الدكتاتورية سيطرت على أذهان سكان هذه المنطقة مع أن القرآن منح هذا الحق للمرأة ليس للسبعين في المائة فقط بل لكل النساء اللاتي يعشن على وجه الأرض أعني مائة في المائة وقال تعالى : " وللذكر مثل حظ الأنثيين " .

التعليم :

وكذلك المرأة محرومة من حق التعليم الذي ينور ذهن المتعلم ويعلمه صنوفاً من الأخلاق الفاضلة والعادات الحسنة التي دائماً ترشده إلى المراتب والمناصب العليا وإلى تكريم الناس له لأن العادات والأخلاق هي ثروة عظيمة لاتنتهي ولاتموت ولاتفسد ولاتتلف بل تزيد الشرف والكرم والعز في نفوس لصاحبها . ولكن الناس في هذه المنطقة لايهتمون بتعليم الأولاد الزغب وخاصة بتعليم البنات ومن يقوم بهذه المهمة يفهمه الناس أحمقاً ومضللاً وزائفاً عن الطريق القويم ، هذا الفهم سائد في أذهان الناس في الأرياف ويظنون الثروة التي تنفق في سبيل تعليم الأولاد ضائعة لاطائل تحتها مع أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أشار إلى أهمية هذه الفريضة التعليمية وقال : طلب العلم فريضة على كل مسلم " (رواه مسلم) ويشمل هذا الحديث رجالاً ونساءاً في معناه، والناس غافلون عن أداء هذه الفريضة وعن ثمرتها الدائمة ولذتها المستمرة وإن نلتمس حقيقة هذه الغفلة عن التعليم ونفحص عن السبب وراء هذا الإهمال نجد هناك عاملاً فعالاً هو " العمالة اليومية " وذهن العامل اليومي وفكرته أن يجد أجرة اليوم في المساء وإن لم يجدها

في المساء يظن أن العمل أصبح عبثاً أعني أنه يطلب نتيجة العمل الفورية و ثمرته العاجلة وإلا لامعنى عنده للعمل.

فهكذا يريد الناس نتيجة فورية في جميع الأمور ، والتعليم يأتي بثماره رويداً رويداً ويطلب الصبر والطمأنينة في إعطاءها الطالب فثمرته لذيذة ومدته طويلـــــة المدى وذهن العامل لايتحمل ولايطيق الصبر لهذا التأخير الخير. هـذا هو السبب الرئيسي وراء التأخر والتخلف في مجال التعليم ، هذا بالنسبة للمسلمين أما بالنسبة لغير المسلمين فهم يبذلون قصارى جهودهم في سبيل تعليم الأولاد ولذا أنهم ينجحون ويفوزون في قطاع الحكومة والوظائف الرسمية.

إن نذهب إلى نتيجة هذه الغفلة عن التعليم والتعلم نجد خسائر فادحة جبارة تأخرنا يوماً فيوماً في جميع المجالات التي يفوز الأغيار فيها ويرتفعون إلى قمة عالية من الفوز والفلاح ومناصب رسمية، أما نحن فتدب الأمية والجهالة الضارة في عروق دمنا وفي مفاصل أعضائنا ونحن نتيه فيها لانجد الصراط المستقيم إلى الفلاح لا الدنيوي ولا الأخروي . والذهنية مثل ذهنية العامل والإهمال عن الحصول على العلم والإعراض عن الرقي بالتعلم والتعليم أدت إلى البطالة والفقر المدقع والخوف في الذهن والعمالة اليومية حتى لانجد منا ولوعدداً صغيراً في الوظائف الحكومية .

وهذه الجهالة تؤدي إلى خرق العادات وفساد الأخلاق الفاضلة وإتلاف المجتمع الباهر ، والجاهـــــل لايفرق بين مراتب الأب والأم وبين الأخ الصغير والكبير وبين الأخت الصغيرة والكبيرة ولايعرف حقوق الأعزاء والأقرباء ولايعرف كيفية أداء هذه الحقوق وهو يظن أنه على حق مع أنه على غير هدى ، والأم الجاهلة لايمكن لها أن تعرف كيف تربي أطفالها وكيف تدير أسرتها على نحو سليم ولاتعرف كيف تؤدي حقوق الله وحقوق العباد وأنها تظل أمَة وعبدة للجهالة والأمية الفاشية فيها وتعاني مشاكل متنوعة عديدة في حياتها كلها.

والأم مدرسة ابتدائية للطفل الناشئ في حضانتها وحجرها ، إن كانت الأم مثقفة ومهذبة ومؤدبة ، وإن كانت الأم جاهلة لاتعرف كيف تهذب أطفالها وأولادها الزغب ، لايمكن لهذا الجيل النامي أن يكون مثالياً ونافعاً للناس ، كما يقال : خير الناس من ينفع الناس، إلا إذا كان الجيل مهذبا ومؤدباً على طـــراز التأديب الأفضل والأخير وهذا في وسع المرأة المهذبة والمؤدبة. والأم لها أهمية بالغة ويد ساعدة في جعل أولادها النافع والأخيَر في المجتمع.

الحجاب

الحجاب مفقود النسب بين النساء المدنيات في هذه المنطقة من الولاية وهن يتأثرن بتأثرات الزوار الخارجيين ولباسهم وزيهم وطراز مشيهم، وأسلوب أكلهم لأنهن قد رأين هذه الأساليب المختلفة بعيونهن المفتـــوحة وأصبحت هذه المنطقة مفرق الطرق ومجمع الثقافات المختلفة ومدينة التجارة الرابحة المزدهرة بسبب القادمين والزوار الخارجيين والمواطنين وخرجت المرأة تاركة بيتها وسقطت دعائم حـدودها الحصينة ناسية مركزها الحقيقي واتخذت الشوارع مطمع نظرها الخادع ولبست الملابس الضيقة الملتصقة ببدنها حتى تبدو منعطفاتها في كل حركة ولحظة وأصبحت نصف عـــارية . وانغمست في مستنقع من الأفكار المضللة الخادعة التي لا أساس لها ولابناء لها تلتمس فيها تعبير الأحلام المزعومة فغرقت في تلاطم أفكار هؤلاء الذين يعملون لتحقيق غايتهم الماكرة فلأجل ذلك أنهم سيطروا على ثلاثة أشياء : البنوك ، والسينما لتقديم مفاهيمهم المسمومة ، ومعامل الملابس والمساحيق والعطور وسواها من مستلزمات المودة ، فكلما غيروا الأنماط أكثرت النساء شراء وإنفاقاً وتسربت الأموال إلى جيوب اليهود وهم يحققون أيضاً قتل الأخلاق ويشيعون التفسخ وينشرون الشهوات وإنما الملابس القصيرة ابتكار يهودي فقد رفعوا أزياء النساء فوق الركبة ، ليزول الحياء وتنشر الرذيلة ويشيع الاختلاط غير البرئ بين الشبان والشابات وتضيع طهارة الفتاة وتتهدم الأسرة وتنتشر

الأمراض الجنسية ، ويبتلي الأطفال بالرذائل وينشأ جيل ضائع موبوء مريض والمرأة المسلمة تسعى إلى حتفها وحتف أمتها دون أن تدري وقبل أن تفيق من أحلامها وأهوائها .

الاقتصاد :

المرأة المدنية في منطقة جامو تشارك الرجال في ميدان الاقتصاد وكسب المعاش وهذه المشاركة قليلة جداً بالنسبة المنطقتين الآتيتين فيما بعد، ولها يد ساعدة في الإنفاق اليومية ومصروف الجيب ولكن الرجل في هذه البقعة من بقاع هذه الولاية رئيس البيت وزعيمه ومسيطر عليها ونفوذ البيت كله في يده أما المرأة فهي تابعة له في جميع الأمور أعني يسود النظام الأبوي في هذه المنطقة .

منطقة كشمير

هذه المنطقة تشهد ازدهاراً عظيماً في معظم الميادين من الحياة ولها طقوس خاصة ومميزات لها صلة كبيرة بهذه البقعة الأرضية وهذا الإقليم عاصمة صيفية للولاية ولسكان هذه المنطقة أساليب مختلفة وأطرزة متنوعة في جميع الأعمال والأشغال اليومية ، وكذلك حالة المرأة فيها تختلف من حالة المرأة في جامو ولداخ .

الإرث :

هذا الحق مفقود وغائب مثل غياب شيئ لا أساس له ولا أهمية له في المجتمع حسب الاستفتاء الذي ملأه بعض النساء من سكان هذه المنطقة و هو أن خمسين في المائة من النساء لايتمتعن بحق الإرث وخاصة في المدن لأن معظم المدنيين والمدنيات لايملن إلى الحصول على العلم الشرعي الديني وفقدان علم الديني قد أدى إلى نتائج وخيمة حارة تهلك المجتمع والمرأة نفسها لاتعرف حقيقة هذا الحق الأصيل ومع إعراضهم عن منع هذه الفريضة الدينية وأداء هذا الحق الشرعي أتوا بعادة سيئة أخرى باسم جهاز العروس وأنهم يُجهزون العروس بإنفاق مال كثير لاطائل تحته لأن هذه

العادة السيئة التي حلت محل الحكم الشرعي وتلغي النص لايعتبر وجودها في القانون الإسلامي وكذلك من يترك حكم الله وحكم الرسول سلط الله عليه شيئاً أشد وأقوى منه.

الأمر لاينتهي إلى هذا الحد بل هناك عادة سيئة أخرى سادت على أذهان المواطنين وهي أنهم يؤخرون زواج البنات رغبة في الفحص عن العريس المؤظف الحكومي أو التاجر الغني أوالرجل الثري جداً ويعطونه أموالاً طائلة وأمتعة كثيرة وبهذا العمل القبيح يفتحون باب العادات الفاسدة وجهاز العروس المتزايدة ويخلقون المشاكل لغير الأثرياء والفقراء الذين لايستطيعون هذا الدفع من المال ومعنى هذا أنهم يهددون حياة كثير من بنات حوى ويسدون الباب على وجوههن.

وفي بعض الأحيان العريس يعد قائمة طويلة من مطالباته من والد بنت ويطلب مبلغاً هائلاً من النقود ومثقلاً باهظاً أو سيارة فخمة أو يعد قائمة لاينتهي سلسلة الحاجات الملحة إليها يريد أن يأخذها في عوض الزواج بهذه البنت.

هذا الطمع والشره والجشع منتج عن المعاملات السيئة التي تؤثر على هذه الأواصر والأرحام أثراً فاضحاً وتقود إلى الانصرام والانقطاع مثل الطلاق والسخط والخلع والتوتر في جو البيت الهادي.

أما المرأة القروية فهي مسكينة فقيرة تعمل مثل العامل وتتحمل المشاكل العديدة ولاتجد الفرصة للحصول على العلم فلا تعرف حقوقها الشرعية وإنما تعرف أعمال البيت والمعمل الخارجي فقط وهي بسيطة ومعصومة جداً عن الخداع والمكر والدهاء والغش والزور ولكنها بسبب الجهالة لايمكن لها أن تهذب أولادها وتعدهم إعداداً صحيحاً ناضجاً ونتيجة لذلك يضل هؤلاء الأولاد الطريق ولايجـــدون الرشد والهداية في مبدأ عمرهم وإذا كبرو وناهظوا سن الرشد وبلغوا أشدهم فيخرجون من أياد المصلحين والمربين.

المرأة تعتبر كسلعة في سوق الزواج مع أن الزوج ليس تجارة كي نسلك فيه المنهج التجاري ويقال بطريق الإيحاء : استغلوا من الزواج رأسمال للمرأة والمهر عطية محضة فرضها الله للمرأة وهذه الآية تُعلن على الملأ:

" وأتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيئ منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً" (سورة النساء آية : ٤) وإن ما نراه اليوم من استبداد بعض الآباء بمهور بناتهن أو استيلاء بعض الأشقاء على مهور أخواتهن لهو تكبر جاهلي على الحق يغمط المرأة ويتنكر لحقوقها مضاد لدين الله وشريعته .

الشريعة الإسلامية لم تلغ المهر ولاغلى المهر بل اتخذت السبيل الوسط وقد علمتنا السنة النبوية وصدقتها الحياة أن استقامة الحياة الزوجية أكثر ما تتوفر باليسر في المهر وتكاليف الزواج كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : انظر ولو خاتماً من حديد" وكذلك يجب أن نردع أنفسنا عن المبالغة في المهر ونربي في المجتمع معاني الأمانة على الحقوق كي يطمئن الناس على مستقبل بناتهم وتطمئن النساء إلى زواجهن ، ونحول تيار المجتمع إلى الاتجاه المعاكس أعني إلى التفاخر لتيسير المهور وأثاث البيوت ، وسعيد ابن المسيب من كبار علماء التابعين يزوج ابنته لتلميذه ابن أبي وداعة على درهمين وقد خطبها الخليفة لولي عهده بزنتها ذهبا فأبى . (٣)

آثار السياحة في وادي كشمير:

السياحة قد زادت الاقتصاد والتقدم والازدهار في معظم مجالات الحياة اليومية في وادي كشمير وأثرت على طريقة العيش أثراً كبيراً في اللباس والمأكل والمشرب وأنها قد أثارت المرأة وحثها على العمل مع الرجال فمثلاً اليوم المرأة تدير الفندق وتعمل في التجارة وفي الدكاكين وفي المزارع وهكذا أتت الحركة والنشاط والتطور في حياة الناس في هذه البقعة وأخطر شيئ أدت السياحة إليه الحرية الزائفة التي اعتنقتها المرأة الكشميرية بتهور وعلى نحو أعمى بدون إدراك حقيقتها وغابت في الميوعة الظاهرة والبهاء الخلاب والزخارف الجوفاء وبدأت تسير على الطرق المتلوية والمنعطفات الحادة حتى ضلت طريقها القويم وسبيلها السليم ودربها الناصع ومسارها المرشد إلى الحق والصواب والرشد والسداد.

ولاشك في أن المرأة الكشميرية المدنية متقدمة جداً في مجال التعليم الدنيوي ومتخلفة بالنسبة للتعليم الديني أو الشرعي ومن أجل ذلك تسربت التقاليد الفاسدة في جذور المجتمع المسلم وخاصة المرأة تعتنقها وتتخذها بنواجذها ولاتريد أن تتركها ولو للحظة لأن الإسلام قد جاء إلى هذه الولاية عن طريق الصوفيين والحالات والظروف المستمرة في ذلك الوقت كانت مختلطة بالأصل والزائف والخير والشر والصواب والخطأ وهذا هو السبب الرئيسي لانتشار الأعراف والعادات غيرالإسلامية في المنطقة وهذه الأعراف والعادات المبيدة للمجتمع مازالت تزلزل أساس المجتمع ولكن الناس لايفهمونها لقدامتها ولفروعها الراسخة في بنيان المجتمع الكشميري. ومن تعلم العلم وعرفها قدم المساعي المفيدة لإبادة هذه الأعراف والعادات والتقاليد الضارة من المجتمع ومن لم يعرفها استقبلها بأذرع مفتوحة واختلط الحابل بالنابل ومزج الخير بالشر في جو البيوت الهادئة.

منطقة لداخ

هذه المنطقة لها أهمية بالغة بالنسبة إلى الحدود والمعالم الجغرافية المميزة والصفات الملتصقة بها والملائمة لها وتشمل هذه البقعة الجبلية ملتوية الطرق والشوارع على سكان مختلف المذاهب والأعراق والأنساب منها : البوذيون والشيعيون وجميع سكان مديرية " كارغل" هم شيعيون ويأتون بجميع الأوامر ويجتنبون من جميع النواهي الصادرة من قبل علمائهم والمصدر الرئيسي لإصدار هذه الأوامر والنواهي هو إيران .

والمرأة في هذه المديرية تتمتع بجميع الحقوق المتوفرة لها مثلاً أنها تتعلم وتجاهد في هذا السبيل مجاهدة خالصة برة وتتخذ بيتها المأوى والملجأ والمقر الهادئ وتربي أطفالها حسب التعليم الديني أولا وترسلهم إلى المدارس الحكومية أو الخاصة ثانياً وتنفق جميع طاقاتها لتسلية الزوج وتربية الأولاد وتسيير البيت هادئاً ومطمئناً في البداية أنها منعت من اتخاذ الوظائف الحكومية في القطاع الحكومي والترشيح في

الانتخابات السياسية ولكن الآن قد اصدرت الفتوى التي منحتها الفرصة للمشاركة في الانتخابات السياسية فبدأت المرأة تبرز على المقاعد والكراسي الحكومية مثلاً هناك إمرأتان في مجلس كارغل لتنمية الجبال وكذلك تدب أقدام النساء في الدروب للحصول على الكثير من الفوز والفلاح في هذا المجال ونشطت المرأة في معظم أنحاء الحياة الوعرة في تلك المنطقة وهي تتخذ الحجاب كفريضة دينية وشرعية ولاتترك الحجاب ولو كانت في البرلمان أو الأسواق العالمية أو التجارة الرابحة المزدهرة أو المحلات الكبيرة القومية أو العالمية ولاتبرز أمام العيون الجاهرة الجائعة عارية ولانصف عارية ولاشبه عارية ولاتعطي الفرصة للنظار وللزوار أن يشدوا نظرهم إلى النهود العارية والصدور الصقلية أو إلى منعطفات الجسم الأخرى بل تبرز ملبوسة في زي فضفاض كي لاتجد القلوب المرضاء فرصة لسعي الحصول عليها ولاتجد العيون الخائنة سبيلها إلى المرمى الخاطئ.

لاتشارك المرأة في كسب الأموال في هذه المديرية بل تبقى في البيت معلمة ومربية للأطفال وللشئون البيتية وطهي الطعام والأشغال الأخرى وأنها تجد حق الميراث إن اشتهت وطلبت من الأب وإلا فلا. والمهر عند الزواج لايقل إلى درجة العدم ولا يرتفع إلى درجة الضغط على الزوج ولاتوجد هنا عادة تجهيز العروس بأكثر من مستطاع الأب أو الإخوان بل تتم هذه الأعمال حسب القانون الشرعي لايزيدون فيه ولا ينقصون منه .

وسكان مديرية كارغل لم تتأثروا بقدوم السياح والزوار و السياحة في هذه المنطقة كالعدم فأنهم يتمتعون بنفوذ القانون الشرعي بسهولة والأسرة لها نظام أبوي ليس نظام الأمومة والأب له يد ساعدة في إصدار جميع أوامره ونواهيه في البيت والأمور التي تتعلق بصالح الأسرة . وتقليد المتعة سائد حتى الآن في هذه المديرية تعيش المرأة في هذه الأضواء من العادات والأخلاق في هذا الإقليم .

الهوامش

١. كتبت هذا الباب معتمداً على المعلومات التي حصلت عليها بعد القيام بجولة علمية وبمقابلات شخصية مع البروفيسورات والباحثات في جامعة كشمير ومع المعلمات والمتعلمات في الكليات المختلفة في شهر ديسمبر الماضي عام ٢٠٠٧م .

وكذلك قمت بمقابلات شخصية مع عامة الناس في القرى والمدن. وبعد إلقاء النظر الغائر على هذا المجتمع الذي يتركب من ثلاث ثقافات مختلفة فكتبت ملخص كلما شاهدت فيها وذكرت الحقائق التي يتجشمها سكان هذه الولاية .

٢. البعث الإسلامي – العدد ٥٢، يوليو- أغسطس ٢٠٠٧م

٣. العربي – العدد ٢٣٩- أكتوبر ١٩٧٨م

٤. العربي – العدد ٣٤٤- يوليو ١٩٨٧م

٥. صحيفة "قومي آواز " اليومية بتاريخ ١٦فبرائر ٢٠٠٨م

٦. صحيفة "قومي آواز " اليومية بتاريخ ٢٦ فبرائر ٢٠٠٨م

٧. صحيفة "قومي آواز " اليومية بتاريخ ١٧ فبرائر ٢٠٠٧م

٨. صحيفة "قومي آواز " اليومية بتاريخ ٢١ مارس ٢٠٠٨م

ملخص الأطروحة

نظرة على الشارع وعلى فاترينة الأزياء و مجلات الموضة وصالونات الكوافير وإعلانات الروج و المانيكير وأنواع الباروكات سوف تشعرنا بمدى الجناية التي جنتها الحضارة المادية العصرية على عقلية المرأة ومن الوهلة الأولى سوف نفهم أن هذه الحضارة لم تر في المرأة إلا دمية أو إلا لعبة أو متعة لإثارة الرغبة والشهوة و إشعال الخيال حتى أسماء العطور عطر "سكاندل" بمعنى فضيحة .

هكذا أرادوا بالمرأة حينما صمموا لها الفساتين ورسموا لها الفتحات على الصـــــدور والظهر و حينما حزقوا لها البنطلونات و ضيقوا البلوزات واستدرجوا المـــــرأة من غرورها حينما قالوا لها ما أجمل صدرك ما أجمل كتفيك ما أروع ساقيك ما أكثر جاذبيتك حينما يكون كل هذا عاريا .

ووقعت المرأة في الفخ وخلعت ثوب حيائها وعرضت جسمها سلعة تنهشها العيون وقالوا لها البيت سجن وإرضاع الأطفال تخلف وطهي الطعام بدائية مكانك إلى جوار زوجك في المصنع وفي الأتوبيس وفي الشارع فخرجت المرأة من البيت لتباشر ما تصلح لها و مالا تصلح له من أعمال وألقت بأطفال لها إلى الشغالة وقالوا لها جسمك ملكك أنت حرة في إلباسه وإبرازه بلا حسيب وبلا رقيب وليس لك إلا حياة واحدة وكل يوم يمضي من أيامك لن يعود عيشي حياتك بالطول وبالعرض أنفقي شبابك قبل أن ينفذ واستثمري أنوثتك قبل أن تشيخ ولا تعود لها سوق وساهم الفن بدوره ليروج هذا المفهوم ساهمت السينما والمسرح والإذاعة والأغنية والرقصة والقصيدة ودخلت الغواية إلى البيوت من كل باب وتسربت إلى العقول وتخللت الجلد وأشعلت الخيال بسعار الشهوات وأمرضت القلوب بداء الخيانة وأصبحت هذه المثل العليا في المجتمع وأصبحت البطلات صاحبات المجد وأصبحت القدوة هى زوجة هربت من بيت الزوجية وظنت المرأة بنفسها الشطارة والفهلوة فظنت أنها تقدمت على أمها وجدتها حينما اختارت لنفسها هذه المسالك والحقيقة أنها استدرجت من حيث لا تدري وكانت ضحية الإيحاء والاستهواء وبريق الألفاظ وخداع الفن وأجهزة الإعلام و الرأي العام

الموجه الذي تصنعه حضارة مادية وثنية لا تؤمن إلا باللحظة و لا تعرف إلا بلذائذ الحس الذي هو الصنم المعبود لكل إنسان فيها هو نفسه وهواه والمحراب هو فاترينة البضائع الاستهلاكية والهدف الذي من أجله يلهث هو إشباع الحاجات العاجلة هذه هى حالة المرأة الحديثة الراهنة التي على شوارعنا وسككنا ومفرق الطرقات كأزياء براقة معلقة على علاقة الثياب ترفرف في هواء الشهوات أينما يتجه . كذلك حال المرأة الحديثة التي تلتفت أينما تتجه شهواتها وسعارها طليقة حرة والأسف أشد الأسف علينا لأننا نطلق على هذه الحالة اسم التقدمية والحداثة فأين ذهب عقلنا الراجح وفكرنا الثاقب الذي يميز بين الحق والباطل والأصل والزائف والمملوء والفارغ .

ترى كيف كانت نظرة الإسلام للمرأة الإسلام المتهم بالرجعية والتخلف والبداوة الإسلام الذي قالوا عنه إنه أفيون الشعوب ، لم ينظر الإسلام للمرأة على أنها دمية أو لعبة أو متاع بل نظر إليها على أنها أم ورأى فيها شريكة عمر لا شريكة ليلة وقال عنها القرآن الكريم إنها السكن والمودة والرحمة وقرة العين واختار لها البيت والحجاب والرجل الواحد تعظيما لقدرها وحفاظا عليها ، وكانت خديجة لمحمد صلى الله عليه وسلم أكثر من مجرد شريكة لقمة أو شريكة فراش فقد شاركته الدعوة والرسالة واحتضنت هموم النبوة وكانت الناصح و الصديق والأم الرءوم والسند المعين واشتغلت المرأة بالتمريض و صاحب النساء أزواجهن في الغزوات و جلست المرأة للفقه وجلست لتلقي العلم أنشدت الخنساء الشعر بين يدى النبي عليه الصلاة والسلام وكان يستزيدها قائلا هيه يا خناس .

ولم يبح الإسلام التعدد إلا لضرورة وبشرط العدل وما أباح التعدد إلا إيثارا لأن تكون المرأة زوجة ثانية بدلا من أن تكون عشيقة وهذا أكرم . ثم جعل القاعدة العامة في الزواج هى الزوجة الواحدة لأن العدل بين النساء أمر لا يستطيعه الرجال وقد عهد الإسلام إلى الرجل بأن يبني ويعمر ويفتح الأمصار ويتجر ولكنه عهد إلى المرأة بما هو أشرف من كل هذا بحصانة الإنسان وتربيته .

إن الرجل له أن يصنع أي شيئ ولكن المرأة وحدها هى التي تصنع الرجال وهذا غاية التكريم وغاية الثقة هل هذا هو التخلف أم التخلف الحقيقي هو أن تسير المرأة نصف عارية حلمها إثارة رجل وغايتها متاع ليلة ومثلها الأعلى امرأة هلوك يقتتل حولها السكارى مثل الراحلة بمبة كشركم خدعوك يا أخت وكم استدرجوك إلى حتفك وخلعوك من عرشك وانتزعوك من خدرك وباعوك في أسواق النخاسة رقيقا تثمن بقدر ما فيها من لحم وأنت نصف الأمة ، ثم إنك تلدين لنا النصف الآخر فأنت أمة بأسرها ولا يستطيع الرجل أن يقود التطور وحده ، ترى هل آن الأوان لتعيدي النظر وترى هل آن الأوان لتشعري في قدرك و تعرفي دورك.

فهرس المصادر والمراجع

(الف) الكتب العربية:

١. القرآن الكريم
٢. ماذا عن المرأة : الدكتور نورالدين عتر، دارالفكر – دمشق . ١٩٨١م
٣. المرأة المسلمة بين نظرتين : الأستاذ صالح محمد جمال، الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٩هـ
٤. الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة : البهي الخولي ، درالقلم – الكويت ١٩٢٩م
٥. المرأة العربية في منظورالدين والواقع – دراسة مقارنة : جمانة طه ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، ٢٠٠٤م
٦. المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية : وحيدالدين خان ، ترجمة سيد رئيس أحمد الندوي ، دارالصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٩٤م.
٧. هذه الشجرة : عباس محمود العقاد ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦م
٨. المرأة في القرآن : عباس محمود العقاد ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦م
٩. المرأة دورها ومكانتها في الحياة المعاصرة : الدكتورة زهرابي علوي ماتومال ، جامعة كاليكوت ، ٢٠٠٣م
١٠. أماثل كشمير : الدكتور محمد مظفر حسين الندوي ، بيت الحكمة الندوية، عيدكاه ، سري نجر – ٢٠٠٤م
١١. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبوالحسن علي الندوي ، المجمع الإسلامي العلمي – لكناؤ – الهند ، ١٩٦٩م
١٢. في ظلال القرآن : سيد قطب ، بيروت ، دارالشرق – ١٩٨٩م

١٣. عودة الحجاب : محمد بن أحمد بن إسماعيل - عفا الله عنه – دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ١٩٨٨م
١٤. المرأة بين نور الإسلام وظلام الجاهلية : الدكتور محمد بن سعد الشويعر، دار الصحوة للنشر – القاهرة ، ١٩٨٨م

(ب) الكتب الأردية :

١. عورت اور ازدواجی زندگی قرآن مجید کی نظر میں : محمد کلیم ارائین ، مکتبه الحسنات، دہلی ٢٠٠٧ء
٢. عورت اور جدید سائنس : حکیم محمد طارق محمود چغتائی ، مکتبه الحسنات ، دہلی ٢٠٠٤ء
٣. عورت کی سربراہی کا اسلام میں کوئی تصور نہیں : فضل الرحمن محمد ، انجمن اہلحدیث ، مسجد مبارک ، ریلوے روڈ ، لاہور ، پاکستان
٤. خاتون اسلام : مولانا وحید الدین خان ، مکتبه الرساله ، نئی دہلی ، ٢٠٠٤ء
٥. عورت معمار انسانیت : مولانا وحید الدین خان ، مکتبه الرساله ، نئی دہلی ، ٢٠٠٤ء
٦. اسلام میں عورت کے حقوق جدید یا فرسوده : ڈاکٹر ذاکر نائک ، اریب پبلیکیشنز ، دریا گنج ، نئی دہلی ٢٠٠٧ء
٧. تاریخ جد و جہد آزادی کشمیر: پریم ناتھ بزاز ، مترجم : عبدالحمید نظامی ، گلشن پبلیشرز ، ریزیڈینس روڈ ، سری نگر ، کشمیر ٢٠٠٢ء
٨. شاہ ہمدان : مفتی محمد مقبول ، فردوس پبلیشرز ، محله ڈب تل سری نگر ، کشمیر ١٩٨٩ء
٩. کشمیر ١٩٣١ سے ١٩٧٧ء تک : صوفی غلام محی الدین ، شاہین بک اسٹال ، بڈشاہ ، چوک، سری نگر ، کشمیر ١٩٩٧ء
١٠. پونچھ تاریخ کے آئینے میں : خواجه محمد دین بانڈے ، میموریل سوسائٹی ، پونچھ،

(جموں) ۲۰۰۶ء

۱۱. کشمیر کے مضامین : ڈاکٹر برج پریمی : آزاد بستی نئی پورہ ، سری نگر ، کشمیر ۱۹۸۹ء

۱۲. راجوری تاریخ وادب کے آئینے میں : نورین صابر مرزا ، بابا غلام شاہ ادبی مرکز ، بھروٹ راجوری (جموں) ۲۰۰۷ء

۱۳. کشمیر میں امن : مولانا وحید الدین خان ، مکتبہ الرسالہ ، نئی دہلی ۲۰۰۶ء

۱٤. تاریخ تمدن کشمیر : علامہ ڈاکٹر عزیز احمد ، بڈشاہ چوک مائسمہ بازار، سری نگر ، کشمیر ۱۹۹۶ء

۱۵. تاریخ ڈوگرہ دیس (جموں و کشمیر) : دیوان نرسنگداس نرگس ، چاند پبلیشنگ ہاوس ، جموں، ۱۹٦۷ء

۱٦. کشمیری مسلمانوں کی جد وجہد ۱۹۳۱ ____ ۱۹۳۹، منتخب دستاویزی سلسلہ نمبر : ٦، مرزا شفیق حسین ، ۱۹۹۱ء ، گلشن پبلیشرز ، سری نگر ، کشمیر

۱۷. گلاب سنگھ بانئ ریاست جموں کشمیر ، : دیوان نرسنگداس نرگس ، چاند پبلیشنگ ہاوس ، جموں، ۱۹٦۵ء

۱۸. اولیائے کشمیر (حصہ اول) : محمد احمد اندرابی ، جموں اینڈ کشمیر اکیڈمی آف کلچر اینڈ لینگویجز ، جموں و کشمیر

(English Books):

1. Educating Muslim Girls A Comparison of Five Indian Cities. by: Zoya Hasan and Ritu Menon, Hauz Khas Enclave (E) New Delhi – 2005
2. Woman in Islamic Shari'ah . by : Maulana Wahiduddin Khan, The Islamic center, New Delhi – 1995
3. Kashmir : Roots of conflict, path to peace, by : Sumantra Bose, Vistar Publication, New Delhi – 2003

4. Kashmir towards insurgency . by: Balrajpuri, Orient Longnaan, New Delhi , 1993

5. The rights of Muslim woman An Appraisal, by : Sayyed Jalaluddin Umri, , Markazi Maktaba Islami Publishers , New Delhi, 1996

6. Woman and Islam , Sayyed Jalaluddin Umri, , Markazi Maktaba Islami Publishers , New Delhi, 2001

7. Why is Kashmir burning? S.P. Das Gupta, S Bhattacharya for Mind Scape, Kolkata, 2006

8. Woman in Islam, by: M. Mazharuddin Siddiqi, Adam Publishers and Distributors, New Delhi, 2004

9. Woman between Islam and Western Society , Maulana Wahiduddin Khan, The Islamic center, New Delhi –2004

10. Parda and the status of woman in Islam, by: Sayyed Abul A'la Al Maududi, M.M. Islami Publishers, New Delhi , 2006

قائمة المحتويات

الأرقام	فهرس الموضوعات	الصفحة
١.	المقدمة	١-٣
٢.	الباب الأول : كيف كانت المرأة في الحضارات القديمة والأديان المختلفة	٤
٣.	الفصل الأول : المرأة وتقاليد البداءة	٨
٤.	الفصل الثاني : المرأة في مختلف الحضارات القديمة	١١
٥.	الفصل الثالث : المرأة في الأديان السماوية	٢٠
٦.	الهوامش	٣٣
٧.	الباب الثاني : مركز المرأة في ضوء القرآن والسنة	٣٥
٨.	الفصل الأول : محاولة الإسلام تجاه المجتمع بعد محو الرواسب الجاهلية	٣٦
٩.	الفصل الثاني : من معطيات الإسلام للمرأة	٤١
١٠.	الفصل الثالث : وظيفة المرأة الأساسية	٤٨
١١.	الهوامش	٦٥
١٢.	الباب الثالث : دراسة مقارنة بين المرأة الغربية والهندية	٦٨
١٣.	الفصل الأول : العوامل التي تؤثر مركز المرأة في المجتمع	٦٩
١٤.	الفصل الثاني : تساوي الرجل والمرأة في الحقوق الإنسانية العامة	٧٣
١٥.	الهوامش	٨٨

١٦. الباب الرابع : حقيقة قضية ولاية جامو وكشمير وتأثر المرأة بتقلبات السياسة المدمرة فيها ٨٩

١٧. الهوامش ١١٣

١٨. الباب الخامس : حالة المرأة المسلمة في ولاية جامو وكشمير ومن معاناتها النفسية والجسدية ١١٤

١٩. الهوامش ١٤٣

٢٠. فهرس المصادر والمراجع ١٤٧

٢١. قائمة المحتويات ١٥١

Jawaharlal Nehru University

STATUS OF MUSLIM WOMAN
IN JAMMU AND KASHMIR

"IN THE LIGHT OF THE QUR'AN AND HADITH"

AN ANALYTICAL STUDY

Dissertation Submitted to the Jawaharlal Nehru University in Partial fulfillment of the requirement of the award of the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

BY

MOHD. AZAM

SUPERVISOR

Prof. S.A. RAHMAN

CENTRE OF ARABIC AND AFRICAN STUDIES

SCHOOL OF LAUNGUAGE, LITERATURE AND CULTURE STUDIES

JAWAHARLAL NEHRU UNIVERSITY

NEW DELHI – 110067, INDIA

2008